عبقرية اللغة العربية

وجمالياتها

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم التصنيف: ٤٦٢

المـؤلـف : أ.د خليل عبد العال زايد

عنوان الكتاب: عبقرية اللغة العربية وجمالياتها

الموضوع الرئيسي: فقه اللغة

بيانات النـشـر: المنتدى الإسلامي

حكومة الشارقة

المنتدى الإسلامي

هاتف: ٠٦/٥٦٦٨٨٥٥ براق: ٠٦/٥٦٦٨٨٦٦

ص.ب: ٢٥٦٥٦ الشارقة: الإمارات العربية المتحدة

www.muntada.ae

عبقرية اللغة العربية

وجمالياتها

إعداد

الأستاذ الدكتور

خليل عبد العال خليل زايد

عميد كلية دار العلوم جامعة الفيوم السابق وعميد البحث العلمي بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي وأستاذ اللغة العربية بقسم اللغة العربية بالكلية

فبراير ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[يوسف:١-٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾[فصّلت:٤٤]

يطيب لي أن أقدم عاطر شكري وتقديري وامتناني لدولة الإمارات العربية المتحدة ودعائي إلى الله تبارك وتعالى أن يحفظها ويحفظ شعبها من كل مكروه وسوء وأن يحفظ الإمارات موحدة قوية معطاءة في شتى مجالات العلوم والفنون وأن يحفظ حكام الإمارات وشعوبها من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يديم علينا وعليهم نعمه ظاهرة وباطنة ما علمنا منها وما لم نعلم وأن يعرفنا وإياهم نعمه بدوامها لا بزوالها، كما أقدم شكري الخاص لإمارة الشارقة عاصمة الثقافة الإسلامية على رعايتها ودعمها للعلوم العربية والثقافة الإسلامية، سائلا ربي عز وجل أن يجازي حاكم الشارقة الدكتور سلطان القاسمي خير الجزاء وأن يبارك له في حسناته ويسعده دنيا وآخرة ، كما أقدم شكري الخاص للمنتدى الإسلامي والقائمين عليه ومجلس إدارته ولإدارة البحوث الإسلامية بالمنتدى الإسلامي والقائمين على تنفيذ هذه الدورة، وأسأل

الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عن هذه الأعمال خير الجزاء وأن يجعلها في ميزان حسناتهم يوم القيامة وأن يجعلها لهم في الدنيا صدقة جارية تدوم بدوام الدنيا ولا تنتهي بزوالها.

ولكل من تجشم عناء السفر لحضور هذه المحاضرات وصبر على الاستماع إلى محتواها ولكل من صبر على قراءتها بعد طباعته وأفاد منها سطرا أو صفحة أو قليلا أو كثيرا شكر من القلب لما تجشمتموه من عناء سفر وصبر على ملل هذه المحاضرات وعلى المشاركة فيها لتكون بداية لفعاليات مستمرة عن اللغة العربية وعبقريتها وجمالها وعبقرية علمائها وعبقرية المؤلفين فيها عبر العصور لنعرف لهم حقهم ونذكرهم بما يستحقون من الشكر والدعاء وبذلك نقبل على لغتنا ونصطلح معها ويقبل عليها أبناؤنا وتقبل عليها الأجيال المعاصرة واللاحقة ترفع رايتها بين اللغات فترتفع أمتنا بين الأمم.

تمهيد

سنحاول بإذن الله تعالى الدخول إلى هذا الموضوع عن طريق ذكر عدد من الأسئلة التي توضح العديد من النقاط الجوهرية حول أفكار هذا الموضوع وكل ما يتصل به، ولن تكون إجاباتنا عن هذه الأسئلة على ما تعودنا من عرض السؤال وبعده إجابته، بل إننا سنعرض عددا من القضايا والمقدمات التي سيجد فيها القارئ العديد من الإجابات للعديد من القضايا ذات الصلة بموضوع عبقرية اللغة العربية وجمالياتها، والمعاني المعجمية لكلمة عبقر وكل ما يتصل بهذا العنوان، وسنحاول طرح هذه الأسئلة، ثم تتلوها بإذن الله تعالى الإجابة عن البعض القليل منها، لأن الإجابة عنها جميعا تحتاج إلى مجلدات وإلى عشرات المحاضرات، ويبقى بعد ذلك الحديث عن موضوع عبقرية علمائها وعبقرية مؤلفاتها وعبقرية مؤلفيها. وسوف نخصص له ندوة خاصة به ومحاضرات وصفحات خاصة في بحث لاحق بإذن الله.

ما معنى هذا العنوان عبقرية اللغة العربية وجمالياتها في معاجم اللغة وفي رأي الباحث؟

١. ماذا نقصد بعبقرية اللغة العربية وجمالياتها ؟

٢. هل عبقرية اللغة وجمالها يكمن في مفرداتها، أم في تراكيبها، أم فيهما معا؟

٣. هل سر عبقرية اللغة العربية هو بقاؤها مستعملة على ألسنة عدد غير قليل من متكلميها ؟ أم أن سر عبقريتها وجمالها يرجع إلى ثروتها اللغوية غير المحدودة، والمناسبة لكل المعاني ولكل الأزمنة والأمكنة والبيئات والمناسبات بالإضافة إلى نظمها البديع.

٤. أم أنها ليست عبقرية وليست جميلة؛ لأن المتكلمين بها قليلون جدا مقارنة بمن ينتسبون إليها ؟

٥. متى نقول إن اللغة العربية قد ماتت حقيقة ؟ وهل يعني قلة المتحدثين بالمستوى التراثي الفصيح أن لغتنا العربية قد ماتت، أم أن ذلك غير صحيح لأن أصوات العربية وحروفها وألفاظها وتراكيبها ولهجاتها موجودة ومستعملة وحية، وهي تنتقل من جيل إلى جيل لكنها تتطور عبر الزمان والمكان لمناسبة الظروف والهيئات والأحوال والمناسبات والتغيرات العلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية

والاجتماعية من عصر إلى عصر ومن مصر إلى مصر، ويحدث لها من التطور والتغير العبقري ما يحدث مثله أو قريب منه في كل اللغات في أصوات اللغة وفي حروفها، وفي مفرداتها وفي تراكيبها، وفي معانيها ودلالاتها. وهذا سر من أسرار خلودها وعدم انقطاع صلتها بأصولها القديمة وماضيها السحيق في الصوت أو في اللفظ، أو في الرسم والخط، أو في المعنى والدلالات.

٦. فهل يمكننا القول بأن هذا التطور قد قضى على الفصحى وجعل العاميات تحل محلها؟

٧. وما علاقة الفصحى بهذه العاميات المنتشرة في جميع البلدان العربية ؟

٨. هل لهذه العاميات علاقة باللهجات العربية القديمة بحيث يمكن القول إن كثيرا من هذه العاميات يرجع كل منها إلى لهجة من لهجات العرب القديمة؟

٩. وما علاقة اللغة الفصحى – الفصيحة أو المستوى الفصيح- بهذه اللهجات العربية القديمة، وهل اللغة الفصيحة مأخوذة من لهجة واحدة من اللهجات العربية القديمة أم مأخوذة منها جميعا؟

١٠. وما علاقة هـذه اللغـة العربيـة الفصـيحة ولهجاتهـا القديمـة بقراءات القرآن الكريم السبع والعشر والمتواتر منها والشاذ، وهل يوجد أثر للقراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ في نطـق العاميـات المحليـة المنتشـرة في ربوع الوطن العربي أم أن قراءة القرآن الكـريم لهـا صـلة باللغة الفصحى فقط؟

١١. وما علاقة الفصحى بأدبنا العربي شعره ونثره، سواء منه ما وافـق الفصحى وما خرج عليها وخالفها وجاء وفق بعض لهجاتها ؟

١٢. هل يمكن مد جسور التواصل بين العربية بمستواها الفصـيح ولهجاتها القديمة مع لهجاتنا المحلية والعامية؟ ومـا هي أنجـح الوسـائل لتحقيق ذلك وما فائدته وثمرته؟

١٣. وما الطرق الصحيحة للحفاظ على استمرار بقاء اللغـة العربيـة عبقرية جميلة على ألسنتنا وفي كلامنا وفي أدبنا.

١٤. وهل تعلم اللغة الفصيحة يتم عن طريق تعلم قواعدها فقط أم بكثرة الاستماع إلى نصوص فصيحة صحيحة مثل كثرة الاستماع إلى القرآن الكريم مـن إذاعات وفضـائيات مهتمـة بـالقرآن الكـريم، ثـم الاستماع إلى نصوص أدبية وشعرية أو نثرية من الحديث النبوي وغيره.

١٥. ومتى يتم الاستماع، ومتى يكون الاستماع ناجحا مفيدا، هل يتم في صغر السن، كما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تمت تربيته وإرضاعه في بني سعد بن بكر أم يمكننا تعلمها في سن متأخرة مثلما تعلم الكسائي القرآن الكريم كبيرا.

١٦. وهل وصلنا عن القبائل العربية بعض أشعار وصفها العلماء باللحن؟

١٧. هل كان العرب القدامى قبل الإسلام وبعده يتكلمون اللغة العربية الفصيحة حياتهم اليومية في بيعهم وشرائهم حربهم وسلمهم استقرارهم وارتحالهم، أم كانوا يتحدثون الفصحى-المشتركة- في المواقف الرسمية فقط وفي ما سوى ذلك يتحدثون لهجاتهم المحلية ؟

١٨. متى ظهر اللحن في الكلام العربي ؟ وما هو المقياس الذي يجعلنا نحكم على هذا الكلام بأنه لحن، أي خطأ، وأن ذاك الكلام صواب وليس بخطأ وأنه صحيح فصيح وليس فيه لحن.

١٩. ما موقف أسلاف هذه الأمة وعلى رأسهم رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من انتشار اللحن في تلاوة القرآن الكريم وفي نطق الكلام في المناسبات الرسمية، وما موقف العلماء المنشغلين باللغة والصواب والخطأ للقضاء على ما سمي باللحن؟

٢٠. وهل نجحت المؤلفات القديمة في جعل الناس لا يتكلمون إلا اللغة الفصيحة؟ أم أن اللغة كائن حي لا يمكن وضعه في قوالب حديدية ويحكم عليه بالحياة، أم أن الحياة تتنافى مع تجميد اللغة وتثبيتها لأنها كائن حي متطور متغير.

٢١. هل كون اللغة العربية بحرا واسعا من الثروة اللفظية وتعدد دلالاتها وتنوعها يعد ذلك عيبا فيها، أم أن العيب في قواعدها، أم في هذه الكتب المتخصصة في القواعد النحوية والصرفية والعروضية، أم فينا نحن المنتسبين إلى العربية؟

٢٢. وإن كانت اللغة غير قابلة للتجميد والتحجير والتثبيت؛ لأنها حية ومتحركة ومتطورة فكيف نجعل قواعدها تتماشي معها، فيقوم علماء النحو باستمرار بإعادة النظر في قواعد اللغة وفق قرارات المجامع اللغوية، مثلما فعل علماء الفقه، عندما جعلوا الأحكام الفقهية قابلة للتطور وفق قواعد فقه الأولويات؟

٢٣. هل ماتت لغتنا العربية لقلة المتحدثين باللغة الفصحى بيننا، أم قلة وجود متحدثين بالفصحى لا يدل على موت اللغة العربية لأن المتحدثين بالفصحى قليلون من قديم الزمان، لأن كل قبيلة كانت تتكلم بلهجتها في حياتها اليومية لكن شعراءها كانوا يتكلمون في شعرهم اللغة الفصحى المشتركة، وهل سؤالنا عن عدد مجيدي التحدث

بالفصحى قديما وحديثا يعد سؤالا صحيحا ويحكم به على مدى انتشار الفصحى ومدى صحة الحكم عليها بالحياة أم بالموت ؟ أم أنها من اللغات المرشحة للموت بسبب قلة المتحدثين بها، أم أن موت اللغة أي لغة يحتم موت أصواتها وجميع لهجاتها ومستوياتها، وأن لغتنا العربية لن تموت أبدا بإذن الله ؟

٢٤. هل في اللغة أصوات انقرضت وأصوات لم تنقرض، وهل هناك ألفاظ أو تراكيب انقرضت أو ماتت أو كانت قليلة الاستعمال ثم أصبحت كثيرة الاستعمال، مع أن بعض العلماء وصفوها قديما بالقلة مما يجعلنا نؤمن بفكرة حياة الألفاظ وموتها وحياة بعض القواعد وموتها ؟

٢٥. هل في اللغة دلالات انقرضت ودلالات تجددت وأضيفت إلى بعض الألفاظ، وهل يدخل لغتنا العربية ألفاظ غير عربية مثلها مثل كل اللغات، أم أن نسبة الألفاظ التي تدخل لغتنا العربية أكثر من غيرها من اللغات الأخرى وهل هذه الظاهرة تمثل خطرا على لغتنا العربية ؟

٢٦. هل تم إحصاء كل مفردات اللغة العربية من قديم أم تم إحصاء الكثير منها وفاتنا الكثير؟

٢٧. ما دور معاجم اللغة وما أنواعها في حفظ مفردات اللغة العربية؟

٢٨. هل ساعد القرآن الكريم بقراءاته السبع والعشر وقراءاته الشاذة في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى؟ وهل ساعد شعرنا العربي القديم والحديث في الحفاظ على لغتنا العربية، وهو من أسرار بقائها وطول عمرها، أم أن الشعر العربي الفصيح سبب من أسباب قلة المتحدثين بها ؟ أم أن الأزجال والشعر الحر والشعر العامي هو سبب من أسباب قلة المتحدثين بالفصحى.

٢٩. هل ساعد النحو العربي والصرف العربي في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى؟ أم أن مؤلفات النحو العربي من قديم لم تنجح في تعليم اللغة العربية، أم أن بعضها نجح وبعضها لم ينجح، أم أن قواعد النحو والصرف تم تأليفها منذ البداية دون هدف، أم أن كثرة الحواشي وكثرة الافتراضات وكثرة الخلافات وتعدد الآراء كان سببا من أسباب صعوبة النحو العربي وصعوبة مؤلفاته وانصراف الناس عنه، ولذلك لم يجد الناس في اللغة هذه العبقرية التي ندعيها للغتنا العربية.

٣٠. لماذا يعاني الطلاب ويشكو المتخصصون من صعوبة النحو العربي ؟ هل سبب هذه المعاناة راجع إلى عدم مهارة المعلمين وعدم تمكنهم من ناصية اللغة العربية أم أن ذلك راجع إلى سوء مناهج تدريس اللغة العربية ؟

٣١. هل تم تأليف كتب في إصلاح النحو العربي؟ وهل نجحت هذه المؤلفات في القديم والحديث في إصلاح النحو العربي، أم أن النحو العربي سهل لكننا لا نريد أن نتعب أنفسنا في تعلمه بسبب عدم وجود حافز مادي يشجعنا على تعلم هذه القواعد ونطق اللغة نطقا صحيحا سهلا واضحا مفهوما، أو بسبب عدم وجود عقاب رادع لكل من لا يحسنون نطق اللغة أو معرفة قواعدها التي وضعها علماؤنا القدامى كما كانوا هم يصنعون ذلك حيث كانوا يتسابقون في حفظ كتاب سيبويه بعد حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، أم أن مؤلفات النحو تحتاج إلى إعادة نظر ومراجعة مع تضافر جهود كل المؤسسات والهيئات لصالح خدمة اللغة وخدمة قواعدها وخدمة متكلميها.

٣٢. ما هي أهم قواعد النحو العربي التي يجب أن ندرسها لطلابنا ونتمسك بها؟ وماذا يمكن الاستغناء عنه أو دراسته في مستويات دراسية لاحقة؟ وهل دراسة النحو العربي تؤدي وحدها إلى تعلم العربية الفصحى ونطقها نطقا صحيحا، أم ممارسة نطق اللغة وسماعها هو من أسباب إجادة نطقها وكيف يتم ذلك؟

٣٣. هل اللغات العامية خير من اللغة الفصحى؟

٣٤. هل اللغة العربية الفصحى مستوى واحد، أم عدة مستويات في تراكيبها ومفرداتها ؟

٣٥. هل يمكن الاستغناء عن اللغة الفصحى واستبدالها بالعاميات المحلية لكل بلد؟

٣٦. هل يمكن كتابة لغتنا الفصحى بالحروف اللاتينية أو بالحروف العربية وألفاظ عامية وهل يتم ذلك؟ أم أنه يحدث فعلا في مصر في بعض المؤسسات القضائية والشرطية وغيرها من المؤسسات الفنية والإعلامية.

٣٧. ماذا فعل المسلمون غير العرب بلغاتهم عندما دخلوا في الإسلام، وهل كتبوا لغتهم بالخط العربي والحروف العربية؟ أم تمسكوا بلغاتهم وخطوطهم بعد إسلامهم وما أثر ذلك؟

٣٨. ماذا خسرت اللغة التركية وتراثها وحضارتها عندما كتبت باللغة اللاتينية ؟

٣٩. هل تكلُّمنا بلهجاتنا المحلية فيه تدمير اللغة العربية الفصحى، أم أن التكلم بالفصحى له مناسباته والتكلم بالعاميات له مناسباته ؟ وماذا قال الجاحظ في ذلك.

٤٠. كيف نحافظ على لغتنا الفصحى، وكيف ننمي مهاراتنا بالتكلم بها؟

٤١. وهل الاستماع إلى نطق لغوي صحيح في نصوص صحيحة قرآنية أو شعرية أو نثرية أهم من تعلم قواعد اللغة، أم أن كلا منهما يحتاج إلى الآخر.

٤٢. هل اللغة العربية في مرحلة بين الموت والحياة، أم أنها ماتت بالفعل، أم أنها تتطور من مرحلة إلى مرحلة ومن مستوى إلى مستوى ومن لفظ إلى لفظ ومن دلالة إلى دلالة.

٤٣. ماذا ربحت اللغة العربية من المحافظين المتشددين الذين يتهمون كل دعوة مخلصة لإصلاح قواعد اللغة العربية وتيسير تعلمها بأنها محاولات لهدم اللغة والقضاء عليها وتدمير الهوية العربية والقرآن الكريم والقضاء على الإسلام، فكانت النتيجة أن سارت اللغة في طريقها، وظل المتحجرون جامدين في أماكنهم لا يفعلون شيئا سوى توزيع الاتهامات ووصف هذا بالعمالة وذاك بالخيانة .

٤٤. وماذا استفادت اللغة العربية من دعاة الاصلاح والميسرين المصلحين الذين يرون أن إصلاح اللغة العربية لا يكون إلا بترك الفصحى وهجرها نهائيا إلى العامية نطقا وكتابة، وماذا ربحت اللغة العربية من دعاة الفصحى ودعاة العامية؟

٤٥. وكيف عاشت اللغة العربية على أيدي النحاة وأصحاب القواعد الصارمة، وكيف تعامل معها الأدباء والشعراء وأصحاب الفنون الأخرى؟

٤٦. هل صحيح أنها لغة مرنة غير صخرية أو حجرية؟

٤٧. هل صحيح أنها لغة منذ نشأتها ذات مستويات متعددة بدأت بمستويين في الجاهلية والإسلام هما:

٤٨. مستوى اللهجات التي كانت تتعايش بها القبائل العربية في حياتها اليومية وفي أسواقها وفي حربها وسلمها.

٤٩. ومستوى اللغة المشتركة وهو المستوى الشعري الذي قالت به العرب أشعارها واستعملته في خطبها وفي محافلها الرسمية، وعليه وبه نزل القرآن الكريم.

٥٠. ثم إنها الآن أصبحت مستويات عديدة بجانب هذين المستويين، أو إن شئت فقل انقسم كل مستوى من هذين المستويين إلى مستويات عديدة.

٥١. وهل صحيح أن بها ثروة لفظية عديدة للمعنى الواحد مثل السيف له خمسون اسما أو صفة، وكذلك العسل والنخيل وغيره، وأن بها معاني عديدة للفظ الواحد، وتتصرف في بعض الألفاظ والأصوات والتراكيب، والعكس صحيح.

هل من أسباب وصف اللغة العربية بأنها جميلة؟ قوله صلى الله عليه وسلم: **"إنَّ من البيان لسحرا"**.

٥٢. وأن للنظم فيها دورًا مهما في تفضيل تركيب على تركيب، وفي قبول نص ورفض نص آخر.

٥٣. وهل صحيح أنها مؤثرة على القلوب والمشاعر والأحاسيس والعواطف وهي مقنعة للعقول والأفكار.

٥٤. وهل صحيح أن العربي كان يفخر ويفتخر بقدرته على البيان، ويدلك على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وربيت في بني سعد بن بكر**"، وأن بها تشن الحروب، ويتشجع الفارس فيحقق النصر، وبها ينتشر السلام، كما قرأنا ذلك في شعر عنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى.

٥٥. وهل صحيح أنها لغة العشاق ولغة الحكماء العقلاء، كما في شعر الشاب العاقل أحيانا طَرَفة بن العبد، وأنها لغة أهل الخير ولغة أهل الشر من اللصوص والصعاليك، وأنها لغة الفرسان والقادة، ولغة الأبوة والأمومة والأرحام والأطفال والكبار والصغار، ولغة الدعاة والمصلحين، ولغة أهل الفتن والمؤامرات وقلب الحقائق وتشويه الخصوم، ولغة أهل الكذب والصدق.

٥٦. وهل نجح علماء الفقه وأصوله في تطوير فقههم، ولم ينجح علماء النحو في تطوير نحوهم؟

٥٧. وهل صحيح أن لغتنا العربية لا تساير منتجات العصر ـ ولا الحضارة الحديثة، وأنها لغة قديمة عقيمة متخلفة ماتت من قديم أو ينبغي أن تموت.

٥٨. وما دور مجمع اللغة العربية في القاهرة، وما دور مجامع اللغة العربية في الدول العربية الأخرى، وهل هذه المجامع متفقة فيما بينها أم أنها مختلفة، أم أنها متفقة في بعض الآراء ومختلفة في بعضها الآخر، بناء على مناهجها في الحفاظ على اللغة العربية ومفرداتها وتراكيبها وأساليبها، وهل هذه المجامع نجحت فعلا في دورها الذى أنشئت من أجله أم أنها نجحت في تحقيق بعض الأهداف ولا تزال تحاول الوصول إلى أهدافها في جوانب أخرى.

٥٩. وهل من نماذج النجاح الذي قدمه مجمع اللغة العربية في هذا المجال هذه المؤلفات التي أصدرها مجمع اللغة الغربية في القاهرة، وعلى رأسها قرارات المجمع التي أجازت كثيرا من الاستعمالات التي كانت ممنوعة في رأي بعض النحاة القدامى ونجحت هذه القرارات في توسيع دائرة الجواز والإباحة لاستعمال بعض الألفاظ والتراكيب، وهذا يساعد كثيرا في تيسير تعلم وتعليم النحو العربي واللغة الغربية، وكنا نتمنى أن تكون هذه القرارات إلزامية حتى تنجح في أداء دورها بدلا من هذه الفوضى في استعمال الألفاظ أو إنكارها.

٦٠. وما دور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على اللغة العربية ؟ ونقصد بها المؤسسات الجامعية وقبل الجامعية المتخصص منها في تدريس اللغة العربية أو غير المتخصصة في تدريسها، وما دور هذه الرسائل الجامعية الماجستير والدكتوراه، وغير ذلك من البحوث والمؤلفات المعنية بقواعد النحو والصرف وكل ماله صلة بتعليم اللغة العربية ونشرها وإبراز عبقريتها؟ أم أن هذه الرسائل لا يتم إنجازها وفق منهج محدد أو وفق آلية وهدف محدد شامل على مستوى الكليات والأقسام العلمية المتخصصة في اللغة العربية والدراسات اللغوية والنحوية، ولذلك فهي أو بعضها لم يتم إنجازها لخدمة اللغة الغربية وتيسير تعليمها وتقريبها للدارسين ونشرها وإظهار عبقريتها ؟ أم أنها رسائل وبحوث جامعية وغير جامعية مع كثرتها لكن القليل منها هو الذي انصرف إلى خدمة اللغة العربية وخدمة قواعدها وتيسيرها ونشرها؟

٦١. وما دور المساجد في الحفاظ على اللغة العربية ؟ وما دور الكتاتيب التي تحفِّظ القرآن الكريم في تعليم اللغة العربية ونشرها وإظهار عبقريتها ؟

٦٢. ما دور الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي في هدم اللغة الفصحى أو إحيائها، وما دور هذه المؤسسات في إبراز عبقرية اللغة العربية.

٦٣. ما دور الفن بكل أنواعه في إحياء اللغة العربية الفصحى بكل مستوياتها والحفاظ عليها حية على ألسنة المتحدثين بالعربية؟ وهل تأثرت اللغة الفصحى أو المستوى الفصيح بانحياز الفن الدرامي السينمائي وغيره إلى اللهجات العامية على حساب الفصحى، حيث كتبت معظم الأعمال الفنية أفلاما أو مسلسلات أو مسرحيات أو غير ذلك.

٦٤. ما أسباب وصفنا للغتنا العربية بأنها لغة عبقرية وأنها لغة جميلة ؟

٦٥. وهل جمالها في مفرداتها، أم في تراكيبها ونصوصها الشعرية والنثرية، ومنها النص القرآني والسنة النبوية وأقوال السلف وكتاباتهم، أم فيها جميعا؟

٦٦. وكيف يمكننا أن ندلل ونذكر الأدلة على عبقرية هذه اللغة وعلى جمالها؟

٦٧. وهل لغتنا العربية لا تستطيع أن تساير العصر الحديث المملوء بالمخترعات الحديثة والمكتشفات الحديثة وما يظهر كل يوم في ثورة المعلومات والاتصالات؟

٦٨. وهل استطاعت لغتنا أن تتعامل مع أجهزة الحاسوب الحديثة ويتمكن الباحثون في العلوم العربية والإسلامية من التواصل مع اللغة

العربية والتراث العربي والإسلامي من خلال هذه اللغة عبر وسائل الاتصال الحديثة وعبر أجهزة الحاسوب وما يتصل بها من الأجهزة اللوحية، وهل استطاع الدكتور نبيل علي وغيره أن يستثمروا إمكانات اللغة العربية في ثورة المعلومات وأجهزة الاتصالات من خلال مؤلفاتهم عن اللغة العربية والحاسوب.

٦٩. وماذا قدمت الحكومات العربية والمؤسسات الحكومية للحفاظ على اللغة العربية وإظهار عبقريتها ؟ أم أن نشر اللغة العربية ليست مسؤولية الحكومات بل هي مسؤولية شعبية فردية وجماعية، وفرض كفاية وليست فرض عين .

٧٠. أم أن الحكومات قامت بواجبها في إنشاء المدارس والجامعات ووفرت تعلم اللغة بالمجان، لكن الشعوب والأفراد مهملون متكاسلون متواكلون، تعودوا أن يحصلوا على كل شيء بدون تعب، ولا يحبون أن يتعبوا أنفسهم في تعلم لغتهم، ومع هذا ولأنها لغة عبقرية ظلت حية باقية بأصواتها وحروفها وكلماتها على ألسنة الناطقين بها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

٧١. وهل كل هذه الأسئلة لها علاقة بعبقرية اللغة العربية وجمالها، أم أن بعضها له علاقة مباشرة وبعضها له علاقة بعيدة بموضوع عبقرية اللغة العربية وجمالها.

٧٢. هذه الأسئلة وغيرها كثير مما لم يتسع المقام لقوله وتسطيره، وكلها تحتاج إلى إجابات شافية ومستفيضة، وسنحاول الإجابة عن بعضها هنا، ونتمنى أن نوفق في الإجابة عن بعضها الآخر في دراسات لاحقة بإذن الله.

المبحث الأول: الدلالات اللغوية لألفاظ العنوان: عبقرية اللغة العربية وجمالياتها (عبقر، لغة، عربي، جمال) في معاجم اللغة العربية.

أولا: المعنى اللغوي للفظة "عبقر"

جاء في لسان العرب مادة عَبْقَر: موضع بالبادية كثير الجن. يقال في المثل: كأَنهم جِنُّ عَبْقَر

وقال الجوهري: العَبْقَرُ موضع تزعم العرب أَنه من أَرض الجن؛ قال لبيد:

ومَنْ فادَ من إِخوانِهِم وبَنِيهِمُ كُهُول وشُبَّان كجنَّةِ عَبْقَرِ

ثم نسبوا إِليه كل شيء تعجبوا من حِذْقِهِ أو جَوْدة صنعته وقوته فقالوا: عَبْقَرِيٌّ، وهو واحد وجمع، والأُنثى عَبْقَرِيَّةٌ؛ يقال: ثياب عبقرية. قال ابن الأَثير: عَبْقَر قرية تسكنها الجن فيما زعموا، فكلَّما رأَوا شَيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عملُه ويَدِقُّ أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه إِليها فقالوا: عَبْقَرِيٌّ، اتُّسِعَ فيه حتى سمي به السيّد والكبير.

ومن معاني لفظة عبقر أيضا أنها البسط يدل على ذلك قول ابن منظور: وفي الحديث: **"أَنه كان يسجد على عَبْقَرِيٍّ"**؛ وهي هذه البُسُط التي فيها الأَصْباغ والنُّقوش، حتى قالوا ظُلْمٌ عبقريّ، وهذا عبقريُّ قومٍ للرجل القوي، ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارَفوه: فقال: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾

[الرحمن:٧٦]؛ وقرأَه بعضهم: عَباقِرِيّ، وقال: أَراد جمع عبقريّ، وهذا خطأٌ لأن المنسوب لا يجمع على نسبته لاسيما الرباعي.

قال الفراء: العَبْقَرِيّ الطنافِس الثخانُ، واحدتها عَبقريّة، والعَبْقَرِيّ الديباج؛ ومنه حديث عمر: أَنه كان يسجد على عَبْقَرِيّ. قيل: هو الديباج، وقيل: البسُط المَوْشِيّة، وقيل: الطنافس الثخان، وقال قتادة: هي الزَّرابيّ، وقال سعيد بن جبير: هي عِتاقُ الزرابي، وقد قالوا عَباقِر ماء لبني فزارة؛ وأَنشد لابن عَنمة:

أَهْلي بِنَجْدٍ ورحْلي في بيوتكمُ على عباقِرَ من غَوْريّة العلَم

قال ابن سيده: والعَبْقَرِيّ والعَباقري ضرب من البسط، الواحدة عَبْقَرِيّة. قال: وعَبْقَر قرية باليمن تُوَشَّى فيها الثياب والبسط، فثيابها أَجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع، فكلما بالغوا في نعت شيء مُتَناهٍ نسبوه إِليه، وقيل: إِنما يُنْسَب إلى عَبْقَر الذي هو موضع الجن، وقال أَبو عبيد: ما وجدنا أَحداً يدري أَين هذه البلاد ولا متى كانت.

ويقال: طُلْمٌ عَبْقَرِيّ ومالٌ عَبْقَرِيّ ورجل عَبْقَرِيّ أي: كامل، أي: لا مثيل له من كماله، وتمامه وتفرده.

وفي الحديث: أَنه قصَّ رُؤيا رآها وذكر عمرَ فيها فقال: فلم أَرَ عَبْقَرِيّاً

يَفْرِي فَرِيَّه؛ قال الأَصمعي: سأَلت أَبا عمرو بن العلاء عن العَبْقَرِيّ، فقال: يقال هذا عَبْقَرِيُّ قومٍ، كقولك هذا سيدُ قوم وكبيرهم وشديدهم وقويُّهم ونحو ذلك. قال أَبو عبيد: وإِنما أَصل هذا فيما يقال أَنه نسب إلى عَبْقَر، وهي أَرض يسكنها الجنُّ، فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع؛ وقال زهير:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيةٌ جَديرون يوماً أن يَنالوا فيَسْتَعْلُوا

وقال: أَصل العَبْقَرِيّ صفةٌ لكل ما بولغ في وصفه، وأَصله أن عَبْقَرَ بلدٌ يُوشَّى فيه البسُط وغيرُها، فنُسب كل شيء جيّد إلى عَبْقَر.

وعَبْقَرِيُّ القومِ: سيدُهم، وقيل: العَبْقَريّ الذي ليس فوقه شيء، والعَبْقَريّ: الشديد، والعَبْقَرِيُّ: السيد من الرجال، وهو الفاخر من الحيوان والجوهر. قال ابن سيده: وأَما عَبَقُرٌ فقيل أَصله عَبَيْقُرٌ، وقيل: عَبَقُور فحذفت الواو، وقال: وهو ذلك الموضع نفسه.

والعَبْقَرُ والعَبْقَرةُ من النساء: المرأَة التارّة الجميلة؛ قال: تَبَدَّلَ حِصْنٌ بأَزواجه عِشاراً، وعَبقرةً عَبْقَرا. أَراد: عَبْقَرَةً عَبْقَرَةً فأَبدل من الهاء أَلفاً للوصل، وعَبْقَر: من أَسماء النساء.

وفي حديث عصام: "عينُ الظَّبْية العَبْقَرةِ"؛ يقال: جارية عَبْقَرةٌ أَي ناصِعَةُ اللون، ويجوز أن تكون واحدةَ العَبْقَرِ، وهو النرْجِسُ تشبّه به العين.

والعَبْقَرِيّ البساطُ المُنَقّش.

والعَبْقَرةُ تَلأْلُؤُ السراب.

وعَبْقَرَ السرابُ: تَلأْلأَ.

ثانيا: المعنى اللغوي للفظة " لغة "

جاء في لسان العرب مادة (ل- غ- و) ومادة (ل- غ – ي)

اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع. التهذيب: اللَّغْو واللَّغا واللَّغْوى ما كان من الكلام غير معقود عليه.

وقال الأَصمعي: ذلك الشيء لك لَغْوٌ ولَغاً ولَغْوَى، وهو الشيء الذي لا يُعتدّ به. قال الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة، وأَصلها لُغْوة من لَغا إِذا تكلم.

واللُّغة: اللِّسْنُ، وحَدُّها أَنها أَصوات يُعبِّر بها كل قوم عن أَغراضِهم، وهي فُعْلةٌ من لَغَوْت أَي تكلَّمت، أَصلها لُغْوة ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، كلها لاماتها واوات، وقيل: أَصلها لُغَيٌ أو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًى مثل بُرة وبُرًى، وفي المحكم: الجمع لُغات ولُغونَ. قال ثعلب: قال أَبو عمرو لأَبي خيرة يا أَبا خيرةَ سمعتَ لُغاتِهم، فقال أَبو خيرة: وسمعت لُغاتَهم، فقال أَبو عمرو: يا أَبا خيرة أُريد أَكتَفَ منك جِلداً جِلْدُك قد رقَّ، ولم

يكن أَبو عمرو سمعها، ومن قال لُغاتَهم، بفتح التاء، شبَّهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء، والنسبة إِليها لُغَوِيّ ولا تقل لَغَوِيٌّ. قال أَبو سعيد: إِذا أَردت أن تنتفع بالإِعراب فاسْتَلْغِهم أَي اسمع من لُغاتِهم من غير مسأَلة؛ وقال الشاعر:

وإِني إِذا اسْتَلْغانيَ القَوْمُ في السُّرَى بَرِمْتُ فأَلفَوْني بسِرِّك أَعْجَما

اسْتَلْغَوْني: أَرادوني على اللَّغْو. التهذيب: لَغا فلان عن الصواب وعن الطريق إِذا مالَ عنه؛ قاله ابن الأَعرابي، قال: واللُّغَةُ أُخِذَت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالُوا فيه عن لُغةِ هؤلاء الآخرين، واللَّغْو النُّطق يقال: هذه لُغَتهم التي يَلْغُون بها أَي يَنْطِقُون.

و لَغْوى الطيرِ: أَصواتُها، والطيرُ تَلْغَى بأَصْواتِها أَي تَنْغَم.

ثم قال الأزهري: وقوله عز وجل: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّه بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] ؛ اللَّغوُ في الأَيمان: ما لا يَعْقِدُ عليه القلب، مثل قولك لا واللهِ وبلى واللهِ. قال الفراء: كأَن قول عائشة أن اللَّغْوَ ما يجري في الكلام على غير عَقْدٍ، قال: وهو أَشبه ما قيل فيه بكلام العرب. قال الشافعي: اللَّغوُ في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه، وجِماعُ اللَّغْو هو الخطأُ إِذا كان اللَّجاجُ والغضب والعجلة، وعَقْدُ اليمين أن تثبتها على الشيء بعينه أن لا تفعله فتفعله، أو لتفعلنه فلا تفعله،

أو لقد كان وما كان، فهذا آثم وعليه الكفارة. قال الأَصمعي: لَغا يَلْغُو إِذا حَلَفَ بيمين بلا اعتقاد، وقيل: معنى اللَّغْوِ الإِثم، والمعنى لا يؤاخذكم الله بالإِثم في الحَلِف إِذا كفَّرتم. يقال: لَغَوْتُ باليمين.

ولَغا في القول يَلْغُو ويَلْغَى لَغْواً. ولَغِيَ، بالكسر، يَلْغَى لَغاً ومَلْغاةً: أَخطأَ وقال باطلاً؛ قال رؤبة ونسبه ابن بري للعجاج: ورَبّ أَسْرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عن اللَّغا، ورَفَثِ التَّكَلُّمِ وهو اللَّغْو واللَّغا، إِلا أَن يقال إِنه فُتح لحرف الحلق فيكون ماضيه لَغا ومضارعه يَلْغُو ويَلْغَى، قال: وليس في كلام العرب مثل اللَّغْو واللَّغَى إِلا قولهم الأَسْوُ والأَسا، أَسَوْتُه أَسْواً وأَساً أَصلحته.

واللَّغْو ما لا يُعْتَدّ به لقلته أَو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله، كقوله تعالى: لا يُؤاخِذُكم الله باللَّغْوِ في أَيمانكم؛ وقد تكرر في الحديث ذكر لَغْوِ اليمين، وهو أَن يقولَ لا والله وبلى والله ولا يَعْقِد عليه قَلْبه، وقيل: هي التي يحلفها الإِنسان ساهياً أَو ناسياً، وقيل: هو اليمين في المعصية، وقيل: في الغضب، وقيل: في المِراء، وقيل: في الهَزْل، وقيل: اللَّغْو سُقوط الإِثم عن الحالف إِذا كفَّر يمينه يقال: لَغا إِذا تكلم بالمُطَّرَح من القول وما لا يَعْني، وأَلغى إِذا أَسقط.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾ [فُصِّلَت:٢٦] ، قالت كفار قريش:

إذا تَلا محمد القرآن فالغَوْا فيه أَي الغطُوا فيه، يُبَدِّل أو يَنسى فَتَغْلِبوه. قال الكسائي: لَغا في القول يَلْغَى، وبعضهم يقول يَلْغُو، ولَغِيَ يَلغَى، لُغةٌ، ولَغا يَلْغُو لَغْواً: تكلم.

وفي الحديث: **"مَن قال يوم الجُمعة والإمامُ يَخْطُبُ لصاحبه صَهْ فقد لَغا"**. أَي تَكلَّم، وقال ابن شميل: فقد لغا، أَي فقد خابَ.

ثالثا: المعنى اللغوي للفظة عربي

جاء في لسان العرب مادة (ع - ر - ب)

العُرْبُ والعَرَبُ: جِيْلٌ من الناس معروف، خِلافُ العَجَم، وهما واحدٌ، مثل العُجْمِ والعَجَم، مؤنث، وتصغيره بغير هاء نادر. الجوهري: العُرَيْبُ تصغير العَرَبِ ؛ قال أبو الهِنْدِيّ، واسمه عَبْدُ المؤمن ابن عبدالقُدُوس: فأَمَّا البَهَظُ وحِيتَانُكُم، فما زِلْتُ فيها كثيرَ السَّقَمْ وقد نِلْتُ منها كما نِلْتُمُ، فلَمْ أرَ فيها كَضَبٍّ هَرِمْ وما في البُيُوضِ كبَيْضِ الدَّجاج، وبَيْضُ الجَرادِ شِفاءُ القَرِمْ ومَكْنُ الضِّبابِ طَعامُ العُرَيْبِ، لا تَشْتَهيهِ نفوسُ العَجَمْ، صَغَّرهم تعظيماً، كما قال: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ .

والعَرَبُ العارِبة: هم الخُلَّصُ منهم، وأُخِذ من لَفْظه فأُكِّدَ به، كقولك لَيلٌ لائِلٌ ؛ تقول: عَرَبٌ عارِبةٌ وعَرْباءُ: صُرَحاءُ، ومُتَعَرِّبةٌ ومُسْتَعْرِبةٌ:

دُخَلاءُ، ليسوا بخُلَّصٍ، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدوياً، والأعرابي: البدوي ؛ وهم الأعراب ؛ والأعاريب: جمع الأعراب، وجاء في الشعر الفصيح الأعاريب، وقيل: ليس الأعراب جمعاً لعرب، كما كان الأنباط جمعاً لنبطٍ، وإنما العرب اسم جنس.

والنسب إلى الأعراب: أعرابي، والنسب إلى عرب: عربي.

قال سيبويه: إنما قيل في النسب إلى الأعراب أعرابي، لأنه لا واحد له على هذا المعنى. ألا ترى أنك تقول العرب، فلا يكون على هذا المعنى ؟ فهذا يقويه. وعربي: بين العروبة والعروبية، وهما من المصادر التي لا أفعال لها.

وحكى الأزهري: رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتاً، وإن لم يكن فصيحاً، وجمعه العرب، كما يقال: رجل مجوسي ويهودي، والجمع، بحذف ياء النسبة، اليهود والمجوس، ورجل معرب إذا كان فصيحاً، وإن كان عجمي النسب، ورجل أعرابي، بالألف، إذا كان بدوياً، صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلإ، وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم .

ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب .

والأعرابي إذا قيل له: يا عربي ! فرح بذلك وهش له. والعربي إذا قيل

له: يا أعرابي ! غضب له. فمن نزل البادية، أو جاور البادين وظعن بظعنهم، وانتوى بانتوائهم: فهم أعراب ؛ ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب: فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء .

وقول الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾ [الحُجُرات:١٤]. فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي، صلى الله عليه وسلم، المدينة، طمعاً في الصدقات، لا رغبة في الإسلام، فسماهم الله تعالى العرب ؛ ومثلْهم الذين ذكرهم الله في سورة التوبة، فقال: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ [التوبة:٩٧] ؛ الآية.

قال الأزهري: والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي والأعرابي، ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية، وهو لا يميز بين العرب والأعراب، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب لأنهم استوطنوا القرى العربية، وسكنوا المدن، سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى، والناشئ بمكة ثم هاجر إلى المدينة، فإن لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم، واقتنوا نعماً، ورعوا مساقط الغيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة، قيل: قد تعربوا أي صاروا أعراباً، بعدما كانوا عرباً .

وفي الحديث: "تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي" ؛ جعل المهاجر

ضد الأعرابي. قال: والأعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار، ولا يدخلونها إلا لحاجة. والعرب: هذا الجيل، لا واحد له من لفظه، وسواء أقام بالبادية والمدن، والنسبة إليهما أعرابيٌّ وعربيٌّ .

رابعا: المعنى اللغوي للفظة جمال

جاء في لسان العرب مادة: (ج - م - ل) ما يأتي:

وقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:٦]؛ أَي بهاء وحسن. ابن سيده: الجَمَال الحسن يكون في الفعل والخَلْق.

وقد جَمُل الرجُل، بالضم، جَمَالاً، فهو جَمِيل وجُمَال، بالتخفيف؛ هذه عن اللحياني، وجُمَّال، الأَخيرة لا تُكَسَّر.

والجُمَّال، بالضم والتشديد: أَجمل من الجَمِيل.

وجَمَّله أَي زَيَّنه.

والتَّجَمُّل تَكَلُّف الجَمِيل.

وامرأَة جَمْلاء وجَميلة: وهو أَحد ما جاءَ من فَعْلاء لا أَفْعَل لها؛ قال: وَهَبْتُه من أَمَةٍ سوداء، ليست بِحَسْناء ولا جَمْلاء. وقال الشاعر:

فهي جَمْلاء كَبدْرٍ طالع بَذَّتِ الخَلْق جميعاً بالجَمَال

وفي حديث الإسراءِ: "ثم عَرَضَتْ له امرأَة حَسْناء جَمْلاء"، أَي جَمِيلة مليحة، ولا أَفعل لها من لفظها، كدِيمة هَطْلاء.

وفي الحديث: "جاءَ بناقة حَسْناء جَمْلاء" . قال ابن الأَثير: والجَمَال يقع على الصُّوَر والمعاني؛ ومنه الحديث: أن الله جَمِيل يحب الجَمَال، أَي حَسَن الأَفعال كامل الأَوصاف؛ وقوله أَنشده ثعلب لعبيد الله بن عتبة:

وما الحَقُّ أن تَهْوَى فتُشْعَفَ هَوِيتَ، إِذا ما كان ليس بأَجْمَل

قال ابن سيده: يجوز أن يكون أَجمل فيه بمعنى جَمِيل، وقد يجوز أن يكون أَراد ليس بأَجمل من غيره، كما قالوا: الله أَكبر، يريدون من كل شيء.

والمُجاملة: المُعاملة بالجَمِيل، الفراء: المُجَامِل الذي يقدر على جوابك فيتركه إِبقاءً على مَوَدَّتك.

والمُجَامِل: الذي لا يقدر على جوابك فيتركه ويَحْقد عليك إلى وقت مّا؛ وقول أَبي ذؤَيب: جَمَالَك أَيُّها القلبُ القَرِيحُ، سَتَلْقَى مَنْ تُحبُّ فتَسْتَرِيحُ يريد: الزم تَجَمُّلَك وحياءَك ولا تَجْزَع جَزَعاً قبيحاً.

وجامَل الرجلَ مُجامَلة: لم يُصْفِه الإِخاءَ وماسَحَه بالجَمِيل.

❖ ويجدر بنا قبل ترك هذه المعاني اللغوية بعنوان موضوعنا "عبقرية اللغة العربية وجمالياتها" أن نشير إلى الملحوظات الآتية:

أولا: أن هذا العنوان مكون من أربعة ألفاظ أرادت أن تصف لغتنا العربية بأنها لغة متفردة في صفاتها وخصائصها وأصواتها وحروفها وتراكيبها، وأنها أيضا لغة جميلة الأصوات والألفاظ والتراكيب.

ثانيا: وجدنا في معاجم اللغة ما يؤيد هذا الكلام حيث أشارت هذه المعاجم، وبخاصة لسان العرب إلى مادة "عبقر" تدل معانيها على التفرد، والكمال، والجمال وأن لفظة "اللغة" تدل معانيها على كلام مخصوص بأقوام ذي صفات مخصوصة يسكنون أماكن مخصوصة، وأن العرب لهم صفات وأن الأعراب لهم صفات، وإن كانوا جميعا ينتسبون إلى أصل واحد. أما آخر كلمة في العنوان وهي "جمالياتها" فهي مكملة لأول كلمة فيه تنقص إحداهما بدون الأخرى فالجمال والتفرد هو غاية الكمال والسؤدد.

المبحث الثاني: آراء سلف هذه الأمة وأدبائها في اللغة العربية وقيمتها

كانت اللغة العربية المشتركة التي يتكلم بها العرب في الجزيرة العربية ذات ألفاظ وتراكيب متفقا على نطقها ودلالاتها بين أبناء الجزيرة العربية اللّٰهُمَّ إلا ما تميزت به قبيلة على أخرى في النطق والأداء والدلالة وكان ذلك أمرًا مسلمًا به فيما بين عرب الجزيرة العربية بكل قبائلها، وأعرابها وحضرها.

فإذا تكلم العربي في أي قبيلة فإن غالبية القبائل الأخرى يفهمونه ويتواصلون معه مهما كان بينهم من خلاف في دلالات بعض الألفاظ القليلة النادرة.

ونزل القرآن الكريم بذات ألفاظ العرب واستعمل مفرداتهم، وتراكيبهم، لكن إعجازه في تفرده في اختيار نظم قرآني غير مألوف مما جعلهم يتحيرون في وصف هذا القرآن الكريم فهو ليس كلام الكهان ولا كلام الجان ولا كلام أحد من بني الإنسان، والله أن عليه لحلاوة وإن له لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ...

إنه كلام الله سبحانه وتعالى الذى سمعته الجن فقالت: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[الجن:١-٢] وعندما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى غير الغرب بدأ الناس

يسمعون المسلمين من غير العرب يتكلمون اللغة العربية بصعوبة وبعضهم يلحن في نطقه وانتشر اللحن حتى وصل إلى ألسنة بعض العرب أنفسهم.

قال أبو الطيب اللغوي: واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب الإعراب حيث ظهر اللحن فيه في كلام الموالي من غير العرب من عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"أرشدوا أخاكم فقد ضل"**. وتفسيرات الحديث كثيرة، ولا يصح حمل الضلال هنا على معنى الكفر، بل إن معناه يكاد ينحصر في معنى مخالفة الصواب من النطق الذي يؤدي إلى اختلال المعنى.

ومع هذا كان الصحابة ينفرون من قراءة القرآن الكريم بلحن فيه يرفع ما حقه النصب أو ينصب ما حقه الرفع مما يؤدى إلى اختلال المعاني . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لأن أقرأ فأسقط خير وأحب إلى من أن اقرأ فألحن"[1].

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم: بشر قارئ القرآن وهو عليه شاق وهو يتعتع فيه بأن له أجرين، وكأنه دعوة إلى استمرار التعلم والقراءة حتى يمهروا فيه.

---

(١) راجع مراتب النحويين والمزهر للسيوطى والخصائص لابن جنى ومعجم الأدباء ص ١-٨٢

وقد مر عمر بن الخطاب على قوم يخطئون في الرمي (رمي النبال) فزجرهم وطلب منهم أن يحسنوا ما يصنعون، فقالوا: يا أمير المؤمنين أنا قوم متعلمين. فازداد غضبه عليهم، فتركهم وهو يقول: والله إن خطأكم في لسانكم أشد من خطائكم في رميكم أنتم تحتاجون إلى معلمين. أي: تحتاجون من يعلمكم النطق الصحيح ويعلمكم الرمي الصحيح.

قال ابن جني في الخصائص: وروي أن أحد ولاة عمر بن خطاب كتب إلى عمر بن خطاب رسالة فأخطأ فيها، فكتب إليه عمر يأمره أن يعاقب كاتبه بضربه سوطا.

ودخل أعرابي السوق فسمع التجار يلحنون في كلامهم وهم يبيعون ويشترون فقال: يا سبحان الله يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح !!!

وقال هذه المقولة أيضا أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وأحد علماء اللغة الكبار.

وتنطبق هذه المقولة على صانع القواعد النحوية الأول الخليل بن أحمد الذي علمها لتلميذه سيبويه فألف فيها أول كتاب في النحو ولم يصنع له عنوانا فأصبح اسمه الكتاب.

فقد روي أن الخليل بن أحمد الفراهيدي من قبيلة فرهود وهي قبيلة كانت تسكن هذه البلاد الإمارات وعمان أول من ألف في قواعد اللغة

النحو والصرف وقواعد الإيقاع والموسيقى، وكان علمه سببا في تحول كثير من الناس بعلمه من حاله الفقر إلى حالة الغنى، لكن الخليل ظل فقير الحال حتى مات فقيرا في خص صغير، والناس يأكلون بعلمه أشهى الأطعمة ويلبسون أحسن الثياب ويسكنون القصور.

وقيل إن أعرابيا جلس يستمع إلى خطبة أحد الخلفاء فأخطأ الخليفة أول خطأ فأصر الأعرابي أذنيه، ثم أخطأ ثانية، ثم أخطأ ثالثة، فقام الأعرابي من مكانه قائلا: والله إنك توليت هذه الولاية بقضاء الله وقدره، أو قال: والله إنك ما وليتها إلا بقضاء الله وقدره !!! أي أنك لست كفؤا ولست أهلا لها. وكأن إجادة اللغة العربية وعدم الخطأ في النطق فيها يعتبر أمرا أساسيا في مؤهلات هذا المنصب.

وهذا أمر مهم جدا لمن أراد النجاح في القيادة فلن ينجح في قيادة أي مجموعة ما لم يكن قادرا على التأثير فيهم بلسانه ولغته وفصاحته ، ويا حبذا لو كان ذا منصب وعلم في أي جهة فينبغي عليه أن يمتلك لسانا فصيحا ولغة واضحة، ويخرج ألفاظه من مخارجها الصحيحة ويعرف حق الحروف المفخم منها وغير المفخم وهكذا ... مع اختياره للألفاظ السهلة العبارة القريبة من فهم المخاطبين حيث يجب عليه مراعاة المستوى الثقافي والتعليمي للسامعين والمخاطبين، فلكل مستوى اللغة التي تناسبه حتى لا يفشل في أداء رسالته التي يريد أن يؤديها.

فقد روي أن أحد العلماء أراد أن يثبت لتلميذه أنه ذو علم غزير وأن تلميذه قليل المعرفة فقال لتلميذه أأصعقت العتاريف؟ فصمت الغلام – التلميذ – قليلا ثم قال: زق فيلم. فقال الشيخ: ما زق فيلم؟ فقال: وأنت ما أصعقت العتاريف؟

فقال الشيخ أردت: هل صاحت الديكة وطلع الفجر؟ فقال الغلام: وأنا أردت أن أقول: لم تصح !!!

ومن يتابع آراء العلماء في فوائد التحدث بالعربية الفصحى يجد العجب العجاب من كلام السلف، فقد روي أن الشافعي شدد على من يعرف التحدث بالفصحى ولا يتحدث بها أنه آثم.

وقد كان كثير من السلف يعتبرون أن العربية لغة القرآن الكريم فهي أعظم اللغات، وهي لغة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهي أجمل اللغات، وهي لغة أهل الجنة فيما روي في بعض الروايات غير الموثقة، ولذلك فهي أشرف اللغات، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفخر بأنه أفصح العرب وذلك في قوله: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وربيت في بني سعد بن بكر"، وكأن العرب قديما كانوا حريصين على لغة أبنائهم فكانوا يرسلون بهم إلى البادية ليتعلموا اللغة الصحيحة الفصيحة الخالية من اللحن فينشأ لسانه على الفصاحة، يدل على ذلك قول شاعرهم:

وينشـأ ناشـئ الفتيـان فينـا على مـــا كان عـــوده أبـــوه

مثلما يرسل الناس اليوم أبناءهم إلى الحضانة والروضة لا ليتعلموا اللغة الفصحى ولكن ليتعلموا اللغة الإنجليزية، وسنعرف ذلك عند الحديث عن وسائل امتلاك اللغة والمهارة في نطقها وكتابتها.

وروي في أسباب اختراع علم النحو روايات كثيرة كلها تشير إلى خوف الناس الخاصة والعامة منهم من الخطأ في نطق اللغة أو في نطق الحديث النبوي أو في نطق وتلاوة القرآن الكريم.

ولقد كان تعلم العربية أساسا مهما من الأسس التي اعتمد عليها المفسر والمحدث والفقيه في إتقان علمه ومهارته، اقرأ معي ما ورد في الجزء الأول من تفسير القرطبي بعنوان "باب ما جاء في إعراب القرآن" قال القرطبي:

حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه". حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن الهيثم قال حدثنا آدم يعني ابن أبي إياس قال حدثنا أبو الطيب المرزوي قال حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل

حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة". وروى جويبر عن الضحاك قال قال عبد الله بن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به. وعن مجاهد عن ابن عمر قال: أعربوا القرآن. وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لَبعض إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه. وعن الشعبي قال قال عمر رحمه الله: من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد. وقال مكحول: بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي". وروى سفيان عن أبي حمزة قال: قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية. قال: أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم. وقيل للحسن: إن لنا إماما يلحن. قال: أخروه.

وفي شأن المتخصصين في علم الحديث وعلم الفقه نجد الروايات الآتية:

وعن علي بن الجعد قال سمعت شعبة يقول: مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه مخلاة لا علف فيها. وقال حماد

بن سلمة: من طلب الحديث ولم يتعلم النحو - أو قال العربية - فهو كمثل الحمار تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير. قال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي في الشرع.

قال ابن الأنباري: وجاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله عليهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم، من ذلك ما حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزاز، قال: حدثنا ابن أبي مريم قال أنبأنا ابن فروخ قال أخبرني أسامة قال أخبرني عكرمة ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب. وحدثنا إدريس بن عبد الكريم قال حدثنا خلف قال حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان قال سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران يقولان: سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن فيقول فيه هكذا وهكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا.

واقرأ معي ما ورد في تفسير القرطبي أيضا حول قول الله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] وما قاله عمر رضي الله عنه في تعليقه حول عدم معرفته للفظة "الأب" الواردة في هذه الآية وأنه لم يكن ليعرفها

لولا أن القرآن وضعها بعد كلمة فاكهة ثم عقب عليها بقوله ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[عبس:٣٢]

فقال عمر: ما كنا نعرف معنى الأب حتى قرأنا هذه الآية "فاكهة" وجاء بعدها "متاعا لكم ولأنعامكم" فعرفنا أن الفاكهة لنا وأن الأب ما تأكله أنعامنا.

قال القرطبي: ﴿وَأَبّاً﴾ هو ما تأكله البهائم من العشب، قال ابن عباس والحسن: "الأب" كل ما أنبتت الأرض، مما لا يأكله الناس، ما يأكله الآدميون هو الحصيد؛ ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيدة والأبا

وقيل: إنما سمي أبا؛ لأنه يؤب أي يوم وينتجع. والأب والأم: أخوان؛ قال:

جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع

وقال الضحاك: والأب: كل شيء ينبت على وجه الأرض. وكذا قال أبو رزين: هو النبات. يدل عليه قول ابن عباس قال: "الأب" ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام.

فقد روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع أعرابيا يقرأ قوله تعالى "لا يأكله إلا الخاطئون" يقرؤها "الخاطئين"، فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد التي يتعلمها الناس تساعدهم على نطق اللغة العربية ونطق القرآن الكريم نطقا صحيحا.

وبدأ ذلك بنقط القرآن الكريم نقط إعراب ثم قام بالعملية الأخرى وهي نقط القرآن الكريم نقط إعجام. فما الفرق بينهما وما دلالة ذلك؟

الفرق بينهما أن نقط الإعراب هو تشكيل كلمات القرآن الكريم بالفتحة والضمة والسكون على حسب النطق الصحيح لها بناء على التلاوة والقراءة الصحيحة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام من رب العزة سبحانه وتعالى.

أما نقط الإعجام فهو التمييز بين الباء والتاء والثاء ووضع النقط المناسبة لكل حرف فالباء تحتها نقطة واحدة والتاء عليها نقطتان والثاء عليها ثلاث نقط، وهكذا أصبح غير العرب يقرؤون القرآن فيفرقون بين كبير وكثير، أو يستعينون بنقط الإعراب ونقط الإعجام في صحة نطق قوله تعالى: ﴿والسِّنَّ بالسِّنِّ والعَيْنُ بالعَيْنِ والجروح قصاص﴾ حيث نطقها هكذا: والسُنْ بالسُن والعِيْن بالعين". وقد سمع أحد الصحابة رجلا يلحن مخطئًا في قراءة قوله سبحانه وتعالى: "... أن الله برئ من المشركين ورسوله" حيث قرأها بجر لفظة "ورسوله" وكان بجواره أعرابي

يسمع على فطرته وسجيته، ففهم أن الرجل قد أخطأ في نطق الآية وأن خطأه هذا يؤدي إلى خلل كبير في دلالة الآية دون أن يعرف الأعرابي النحو أو قواعد اللغة، فقال الأعرابي: لئن كان الله قد برئ من رسوله فإني أبرأ ممن برئ الله منه". فقال الصحابي الحافظ للآية على وجهها الصحيح: ليس هكذا يا رجل، وإنما هي "ورسولُه" بضم اللام فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم.

هكذا وكأن المعاني تصل إلى عقل الأعرابي من خلال القراءة الصحيحة والنطق الصحيح، وكل ذلك كان سببا من أسباب وضع النحو واختراع البدايات الأولى له على يد أبي الأسود الدؤلي، ثم تطورت قواعد النحو على يد عبد الله بن أبي إسحاق ثم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم صدر أول كتاب في النحو على يد سيبويه الذي استقى معظم مادته من كلام الخليل بن أحمد الفراهيدي كما قلنا، ولنا على كل الكلام الذي مضى الملاحظات الآتية:

الملحوظة الأولى:

أن العرب كانت تنطق لغتها حسبما ورثتها من قديم الزمان الصغير عن الكبير وأجيال عن أجيال دون حاجة إلى تعلم القواعد أو وجود معلمين أو كتب تُعلم الناس النطق الصحيح.

وأن العرب كانت تدرك أن تعلم اللغة يكون أولا بالسماع الصحيح ويكون بكثرة مجالسة أهل الفصاحة والبيان والاستماع إليهم، وهذا أمر أقرته كل مؤسسات تعليم اللغات في العالم الحديث.

فكل من أراد أن يتعلم أي لغة فعليه أن يجالس أهلها ويكثر من التحدث معهم والاستماع إليهم ثم يحاكي كلامهم، فإنه بعد ذلك سوف يجيد لغتهم. وهكذا تصنع الأم في تعليم طفلها الصغير اللغة والخطاب، والأم الذكية هي التي تتحدث مع ابنها بلغة صحيحة مفهومة ليس فيها خلل، ولتعلم أن طفلها سوف ينجح بعد ذلك في نطق ما خزنه جهاز سمعه من كلام مع أنه كان في مرحلة سابقة أكبر من إمكانات جهاز نطقه وهكذا ينجح الصغير في تعلم لغة من سبقوه، فإن أسمعوه لغة صحيحة نطق لغة صحيحة، وإن أسمعوه لغة محرفة نطق لغة محرفة وهكذا .

الملحوظة الثانية:

أن بدايات الخطأ في نطق اللغة ونطق القرآن الكريم ظهرت أول ما ظهرت في إعراب التراكيب الفتحة والضمة والكسرة والسكون والإعراب بالحروف والخطأ في الاختيار والضم والترتيب والتقديم والتأخير والحذف والذكر مما يؤدي إلى اللحن في نطق آيات القرآن الكريم مما يترتب عليه فساد المعنى وتحريفه وصرفه عن الوجه الذي

أراده الله سبحانه وتعالى في كتابه، وكان ذلك سببا من أسباب وضع النحو ونشأته، وأن النحو بدأ بدايات بسيطة بدائية على يد أبي الأسود ثم تطور شيئا فشيئا حتى أصابه التعقيد وكرهه الناس وانصرفوا عنه لأسباب كثيرة وعديدة، ولم تفلح كل وسائل إصلاح النحو التي نشأت على يد ابن مضاء القرطبي وغيره حتى العصر الحديث بسبب المبالغة عند المحافظين والمبالغة عند دعاة إصلاح النحو ودعاة العامية، وساءت اللغة في طريقها بكل مستوياتها وتركت كلا الفريقين يتناصرون – وكان الانتصار لصالح لغة القرآن الكريم- واللغة الثالثة التي تجمع في سهولتها بين فصحى التراث وفصحى العصور الحديثة.

الملحوظة الثالثة:

إن العرب قديما كانوا ينطقون لغتهم ويكتبونها غير منقوطة، بحكم سليقتهم فلا يضعون تحت الباء نقطة ولا فوق التاء نقطتين ولا غيرها من الأبجدية العربية بل كانوا يتفاخرون بذلك، وكان بعضهم يغضب إذا أرسل إليه أحد الكتاب رسالة منقوطة فيقول له – كما قال الأصمعي: أتراني جاهلًا بكلام العرب وحروفها؟!.

الملحوظة الرابعة:

خصائص اللغة الفصحى

جاء في كتاب: مستقبل اللغة العربية المشتركة د. إبراهيم أنيس:

"أن اللغة العربية المشتركة مثل كل اللغات تحتل مستوى أرقى من لهجات الخطابة اليومية، ولذلك فهي فوق مستوى العامة من الناس، وهي لغة لم يتقنها إلا الخاصة من العرب، ولكنها مفهومة من قديم لكل العرب في كل القبائل، مع أنها لم تكن في متناول جمهور الناس من العامة والخاصة، ولذلك فإن من يجيد هذه اللغة المشتركة ويقوى على إجادة الشعر بها يصبح ذا مكانة عالية بين أهله وفي قبيلته، فإذا أجاد الخطابة احتل ذات المكان، إن هؤلاء وهؤلاء هم وجهاء القبائل من قديم"

إن اللغة المشتركة وحدت بين كل القبائل، لأنها ليست لغة قبيلة واحدة دون بقية القبائل، بل إنها لغة مشتركة بين كل القبائل، وأخذت مكوناتها من أشهر لغات القبائل، إنها ليست لغة قريش وحدها أو تميم وحدها أو قيس وحدها أو أسد وحدها أو هذيل وحدها أو غيرها من القبائل، بل هي خليط منظم من كل هذه القبائل.

إن إعراب الكلمات نطقا في الجمل والتراكيب لم يكن لغة لكل العرب ولم يكن سليقة عند كل العرب، بل كانت إجادته مقصورة في النطق على هؤلاء الذين يجيدون هذه اللغة المشتركة.

كان بعض العرب قبل الإسلام يتكلمون على خلاف هذه اللغة المشتركة وكان البعض الآخر يسمي ذلك لحنا، لأنه على خلاف هذه اللغة المشتركة أو على خلاف لهجة قبيلته.

وسنحاول أن ندلل على أن اللغة العربية لم تمت ولن تموت بإذن الله، لأن الله سبحانه وتعالى قد حفظ القرآن الكريم وتعهد بحفظه، في قوله سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحِجر:٩] ، ولأن القرآن الكريم مرتبط باللغة العربية، لأنه نزل بها كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [يوسف:٢] ، وسيظل القرآن الكريم محفوظا وستظل اللغة العربية حية باقية إلى يوم الدين بإذن الله... وسنعرف ذلك من خلال العديد من الموضوعات العديدة التي ستعالجها الصفحات القادمة والتي يحسن بنا أن نبداها بقصيدة حافظ إبراهيم الآتية:

قصيدة حافظ إبراهيم في اللغة العربية

اللغة العربية تنعي حظها عند أهلها

قال حافظ إبراهيم:

رَجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصاتِي ... ونادَيْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حياتِي

رَمَوني بعُقمٍ في الشَّبابِ وليتَني ... عَقِمتُ فلم أجزَعْ لقَولِ عِداتي

وَلَدتُ ولمَّا لم أجِدْ لعرائسي ... رِجالاً وأكفاءً وَأَدْتُ بناتِي

وسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

فكيف أضِيقُ اليومَ عن وَصفِ ... وتَنْسِيقِ أسماءٍ لمُخْتَرَعاتِ

أنا البحـر في أحشـائه الدر كامـن ... فهل سألوا الغواص عـن صـدفاتي

فيا وَيحَكُم أبـلى وتَـبلى محاسِـني ... ومـنْكمْ وإنْ عَـزَّ الدّواءُ أسـاتِي

فــلا تَكِلُــوني للزّمــانِ فــإنّني ... أخافُ عليكم أن تَحِـينَ وَفـاتي

أرى لرِجـالِ الغَـربِ عِـزّاً ومَنعَـة ... وكــم عَــزَّ أقــوامٌ بعِــزِّ لُغــاتِ

أتَــوْا أهلَهُــم بــالمُعجِزاتِ تَفَنُّنــاً ... فيــا ليــتَكُمْ تــأتونَ بالكِلِمَــاتِ

أيُطـرِبُكُم مـن جانِـبِ الغَـربِ ... يُنـادي بِـوَأدي في رَبيـعِ حَيـاتي

ولو تَزْجُرونَ الطَّـيرَ يومـاً عَلِمـتُمُ ... بمــا تحتَــه مِــنْ عَــثْرَةً وشَــتاتِ

سقَى اللهُ في بَطْنِ الجزِيرةِ أَعْظُمـاً ... يَعِــزُّ عليهــا أن تلــينَ قَنــاتِي

حَفِظْنَ وِدادِي في البِـلى وحَفِظْتُـه ... لهُــنّ بقلــبٍ دائــمِ الحَــسَراتِ

وفاخَرْتُ أَهـلَ الغَـرْبِ والشــرقُ ... حَيـاءً بتلـكَ الأَعْظُـمِ النَّخِـراتِ

أرى كلَّ يــومٍ بالجَرائِــدِ مَزْلَقــاً ... مِــنَ القــبرِ يــدنيني بغــيرِ أنــاةِ

وأسمَعُ للكُتّابِ في مِصــرَ ضَـجّة ... فــأعلَمُ أن الصَّــائحِين نُعــاتي

أَيهجُرُني قومِـي- عفـا الله عـنهمُ ... إلى لغــةً لــمْ تتّصــلِ بــرواةِ

سَرَتْ لُوثَـة الافْـرَنجِ فيهـا كمَـا ... لُعـابُ الأفـاعي في مَسـيلِ فُـرات

فجاءَتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعـة ... مشــكَّلة الأَلــوانِ مُختلفــاتِ

إلى مَعشَرِ الكُتّابِ والجَمعُ حافِلٌ بَسَطْتُ رجائِي بَعدَ بَسْطِ شَكاتِي
فإمّا حَياة تبعثُ المَيْتَ في البِلى وتُنبِتُ في تلك الرُّمُوسِ رُفاتي
وإمّا مَماتٌ لا قيامَة بَعدَهُ مماتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بمماتِ

ولسنا في حاجة إلى ذكر تعليق على كلام حافظ إبراهيم برغم أنه نص أدبي عبقري إلا أننا فهمنا ماذا يريد أن يقول لنا، وقد كتب قصيدته منذ أكثر من خمسين عاما عندما انتشر الحديث عن تشجيع العامية على حساب الفصحى على يد دعاة العامية في مصر ولبنان.

وسوف نحاول من خلال الصفحات الآتية أن نذكر أمثلة على عبقرية اللغة العربية وجمال مفرداتها وتراكيبها من خلال ما يأتي.

المبحث الثالث: عبقرية مفردات اللغة العربية وتعدد نطق أصواتها وتنوعها

تعدد نطق الأصوات وتنوعها

من تراث لهجاتنا العربية القديمة في نطقنا المعاصر ما يلي:

١- نطق حرف الجيم في اليمن، وعمان، وسكان القاهرة وضواحيها ينطقونها مثل الكاف الفارسية، وبعض أهل الإمارات وبعض أهل الكويت ينطقونها ياء، فبعض القبائل العربية ينطق حرف الجيم ياء فيقول شيرة بدلا من شجرة، وهناك كتب درست حرف الجيم دراسة مفصلة، وهذا كله له أصول عند بعض القبائل العربية كما سنعرف ذلك بالتفصيل في موضعه، وبعض أهل الصعيد ينطقونها "دالا"، وبعض هذا كله له أصول في لهجات العرب القديمة.

٢- بعض القبائل يكسر حرف المضارعة .. نحن نكتب - نعرف - نفهم وقد جاء على ذلك قراءة قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) بكسر حرف النون من نعبد، وتسمى هذه الطريقة في النطق بـ "التلتلة"، ولا نزال حتى اليوم نرى كسر حرف المضارعة منتشرا على ألسنة معظم أبناء الدول العربية من المحيط إلى الخليج، وبخاصة عامياتهم ولغتهم الدارجة.

٣- الشنشنة: قلب الكاف شينا في مثل قولهم: يا هلا بيش وبأهلش.

وقولهم: لبيش اللّٰهُمَّ لبيش لغة "حضرموت"، وتسمى الكشكشة، وتنسب لربيعة ومضر وسعد، وهي موجودة في نطق بعض أهل اليمن حتى يوم الناس هذا.

٤- الطمطمانية: إبدال اللام ميما، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من أهل طيء عندما نزلوا عليه يسألونه عن الصيام في السفر، فقال لهم بلغتهم بنوع من أنواع التودد والتلطف عندما سألوه: هل من برم فم صيام فم سفر. فقال في تلطف: "ليس من امبرم فم صيام فم سفر"، وهذه لهجة طيء، قد لا نراها مستعملة أو منتشرة في عاميات واللهجات المحلية في البلاد العربية

٥- العنعنة: إبدال الهمزة عينا أشهد عنَّك رسول الله بدلا من أشهد أنَّك رسول الله، وهذا القرعان بدلا من هذا القرآن، وهذه ظاهرة نسمعها في بعض البلاد العربية اليوم ونحن نعيش في عام ٢٠١٤.

٦- القطع: وهي عبارة عن قطع اللفظ دون إتمامه، فيقولون يا أبا الحكا بدلا من الحكم، وهذه ظاهرة موجودة في بعض قبائل عمان، وبعض المدن المصرية في بعض قرى طنطا (قرية حصة شبشير) ، وبعض

قرى بني سويف والفيوم والبحيرة – دمنهور، وهذه لغة "قبيلة طيء" من قديم الزمان.

ومن مظاهر عبقرية اللغة في مفرداتها:

- أن المعنى الواحد له أكثر من لفظ، وهذا يسمى "الترادف"، مثل: وراء وخلف، وأمام وقدام، وجلس وقعد، وقام ووقف، ومترادفات السيف والعسل والخيل والأسد، حتى تم إفراد مترادفات القرآن والسنة النبوية والشعر الجاهلي والأموي والعباسي، وغير ذلك من الألفاظ التي ألفت فيها المؤلفات لإحصاء المترادفات في اللغة الغربية وتأصيلها، ونسبة بعضها إلى لهجتها، ولدراستها دراسة وافية وموسعة ومستفيضة من علمائنا القدامى والمعاصرين والمحدثين.

- وأن اللفظ الواحد قد تتعدد معانيه وهذا يسمى "المشترك اللفظي"، مثل لفظة: العين التي لها أكثر من معنى، وقد أفردت أيضا مؤلفات كثيرة ومهمة لدراسة المشترك اللفظي دراسة موسعة ومستفيضة وهادفة.

- وأن اللفظ قد يعطي المعنى ونقيضه، مثلما نجد ذلك في كلمة: سليم لمن لدغه الثعبان، تقول عنه العرب تفاؤلا "هذا سليم"، رغبة في أن يعافيه الله ويشفى، مع أنه ملدوغ ومريض وليس سليما حقيقة.

ومن نماذج الترادف: تعدد الألفاظ للمعنى الواحد مثل:

١- أسماء يوم القيامة: يوم القيامة، الحاقة، القارعة، الزلزلة، يوم الدين، يوم الحساب، الحشر، الساعة وقد أحصى بعض العلماء في القرآن الكريم خمسة وعشرين اسما ليوم القيامة.

٢- الأسد: قد أحصى له بعض العلماء خمسين اسما أو صفة، ومنها: الغضنفر، الهزبر، أسامة، الفاتك، الليث.

٣- السيف: قد أحصى له بعض العلماء خمسين اسما منها: المهند، البتار، الصارم، الحسام، الملو.

٤- الخيل: وله أسماء عديدة أو صفات عديدة.

٥- وكذلك العسل له أسماء عديدة أو صفات عديدة تدخل ضمن باب المترادفات.

أما في الأفعال ففيها ترادفات لا تحصى تظهر عبقرية هذه اللغة في مترادفاتها وفي ثروتها وغنائها ومن ذلك:

جلس، قعد، أسهب، أطنب، أفرط، أسرف، أغرق، أوجز، اختصر، أقلل وغير ذلك كثير وينبغي أن نشير هنا إلى أن كل هذه الموضوعات قد ألفت فيها كتب كثيرة على يد علمائنا القدامى وكذلك اسهم العلماء المتأخرون ومن جاء بعدهم إلى يوم الناس هذا .

أما في حروف المعاني والأدوات: فقد وجدنا من قديم أن الحروف تتبادل مواقعها ومعانيها وتترادف فيما بينها في عدد ليس بقليل من آيات القرآن الكريم ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في كتب النحو في باب معاني حروف الجر:

[معاني "من"]:

ولها سبعة معان؛ أحدها: التبعيض؛ نحو: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ولهذا قرئ: "بعض ما تحبون". أي أن "من" بمعنى بعض.

[معاني الباء]:

وللباء اثنا عشر معنى أيضا:

أحدها: الاستعانة؛ نحو: "كتبت بالقلم".

والثاني: التعدية؛ نحو: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أي: أذهبه.

والثالث: التعويض؛ كـ"بعتك هذا بهذا".

[معاني "في"]:

ولـ"في" ستة معان:

١- الظرفية؛ حقيقة مكانية أو زمانية؛ نحو: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾.

٢- والسببية؛ نحو: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٣- والمصاحبة؛ نحو: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾

٤- والاستعلاء؛ نحو: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

ودلالات حروف المعاني وتعددها قد ألفت فيها مؤلفات عديدة من قديم وإلى يوم الناس هذا.

ومن مظاهر عبقرية اللغة العربية وجمالها تعدد دلالات ألفاظ اللغة بتعدد سياقها:

تعدد الدلالات بتعدد السياق: انظر معي إلى المعاني المتعددة للألفاظ الآتية بناءً على سياقها الذي وردت فيه:

لفظة: ضرب – كتب – خليفة

لفظة ضرب:

١- ضرب زيد عمرا. أي: عاقبه

٢- ضرب الله مثلا. أي: ذكر

٣- ضرب له قبة. أي: أقام

٤- ضرب العملة. أي: صاغها

٥- ضرب له موعدا. أي: حدد

٦- ضرب في الأرض. أي: سعى

٧- ضرب خمسة في ستة. أي: حسب

٨- ضرب كفا بكف. أي: تعجب وارتبك

لفظة كتب:

جاء في لسان العرب الكِتابُ: معروف، والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ. كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً، وكَتَّبَه: خَطَّه ويقال: اكْتَتَبَ فلانٌ فلاناً أَي سأَله أن يَكْتُبَ له كِتاباً في حاجة.

واسْتَكْتَبه الشيءَ أَي سأَله أن يَكْتُبَه له. ابن سيده: اكْتَتَبَه ككَتَبَه.

وقيل كَتَبَه خَطَّه؛ واكْتَتَبَه: اسْتَمْلاه، وكذلك اسْتَكْتَبَه.

واكْتَتَبه كَتَبه، واكْتَتَبْته: كَتَبْتُه. وفي التنزيل العزيز: ﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان:٥] ؛ أَي اسْتَكْتَبَها. ويقال اكْتَتَبَ الرجلُ إِذا كَتَبَ نفسَه في دِيوانِ السُّلْطان.

وفي الحديث: قال له رجلٌ أن امرأَتي خَرَجَتْ حاجَّةً، وإِني اكْتُتِبْت في غزوة كذا وكذا؛ أَي كَتَبْتُ اسْمِي في جملة الغُزاة. وتقول: أَكْتِبْنِي هذه القصيدةَ أَي أَمْلِها عليَّ. والكِتابُ: ما كُتِبَ فيه.

وكتب الثوب والنعل والقربة أي خاطها.

ابن الأَعرابي: الكاتِبُ عِنْدَهم العالم. قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[الطور:٤١]. وفي كتابه إلى أَهل اليمن: (قد بَعَثْتُ إِليكم كاتِباً من أَصحابي)؛ أَراد عالماً، سُمِّي به لأَن الغالبَ على من كان يَعْرِفُ الكتابةَ، أن عنده العلم والمعرفة، وكان الكاتِبُ عندهم عزيزاً، وفيهم قليلاً.

والكِتابُ: الفَرْضُ والحُكْمُ والقَدَرُ؛ قال الجعدي: يا ابْنَةَ عَمِّي! كِتابُ اللّه أَخْرَجَني عَنْكُمْ، وهل أَمْنَعَنَّ اللّه ما فَعَلا؟ والكِتْبة: الحالةُ. والكِتْبةُ الاكْتِتابُ في الفَرْضِ والرِّزْقِ. ويقال: اكْتَتَبَ فلانٌ أَي كَتَبَ اسمَه في الفَرْض.

لفظة الخليفة

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠] أي: إنسان ومخلوقا.

وقال الشاعر: ... خليفة الله يستسقى به المطر. أي: الأمير

وقال والد خليفة لأبنائه: أنا أبو خليفة وأبوكم جميعا فاسمعوا له وأطيعوه كما سمعني وأطاعني وكونوا له عونا كما كان لي ولكم عونا واحفظوه في السر والعلن والصحة والمرض والقوة والضعف كما حفظكم، إن فعلتم ذلك كبرتم في عيون كل الشعوب.

ولنا أن نحاول معرفة دلالة لفظة "خليفة" المعجمية والسياقية:

جاء في لسان العرب: الخليفة من يخلف سلفا في عمل أو نحوه ومادتها خلف ومنها قوله سبحانه ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:٥٩].

أما في السياق، فإن معناها يتعدد بتعدد سياقها، وهذا مظهر من مظاهر عبقرية هذه اللغة وقد أبدع علماؤنا قدامى ومحدثين بحوثا ومؤلفات في ظاهرة السياق ودورها في تحديد المعاني وتغييرها .

العبقرية اللغوية وتطور دلالات المفردات

اللغة كائن حي، هذه مقولة لبعض العلماء يراها صادقة من وقائع كثير من مفردات اللغة وتراكيبها فبعضها يموت وبعضها يحيا.

ويرى آخرون عدم صدق هذه المقولة فلا موت ولا حياة في مفردات اللغة حروفها أو أدواتها أو تراكيبها أو أصواتها، ويعتبر أن ذلك من قبيل الوهم.

ومع أن تاريخ اللغات كل اللغات يثبت أن اللغات تمر بمراحل عديدة، وأن أصواتها وحروفها وأدواتها ومفرداتها وأفعالها وأسمائها وتراكيبها تمر بمراحل متغيرة، سواء كان ذلك في تغيير أصواتها فيختفي نطق بعض حروفها، أو يكاد ينحصر في بيئته دون غيره من البيئات،

انظر مثلا إلى نطق الجيم في الجزيرة العربية ونطقها في اليمن ومصر وبقية أرجاء الوطن العربي قديما وحديثا، حيث ظلت الجيم المعطشة مستعملة في معظم البلاد العربية واقتصر نطق الجيم اليمنية على أهل اليمن وسلطنة عمان وسكان القاهرة وضواحيها.

التطور في النطق والدلالات

الفعل: "هلك" وتطور دلالاته وتطور نطقه:

١- هلك – يهلك، في قوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال:٤٢] ومعناها ذهب ومات.

٢- هلك – يهلك، مثل منع يمنع، أي انتقل من حال إلى حال، من حال القوة إلى حال الضعف.

٣- هلك – يهلك: أي مات ميتة شنيعة، ورد ذلك في تاج العروس ص. ١٩٤/٧ سطر ١٠ .

٤- هلك وأهلك: متعد ولازم

ثم ظل هلك يهلك مستعملا متعديا ولازما.

وتم الاقتصار على أهلك في التعدي فقط، بالرغم من أن فعل وأفعل في كثير من الصيغ جاءت متعدية ولازمة، كما نقل صاحب كتاب "فعل وأفعل" مثل لحد وألحد، قبر وأقبر ...

تطور دلالة لفظة: "دين"

جاء في القاموس المحيط: الدين هو العادة، وهذا المعنى القديم لهذه اللفظة، ومما يدل على ذلك قول الشاعر العربي القديم عن حالة مع زوجته عند غضبه منها إنها كانت تقول إن عادته إذا غضب منها أدار لها ظهره، وذلك في قوله حكاية لحاله معها:

تقول إذا أدرت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني

أي: أهذه عادته وعادتي معه.

ثم قال في القاموس: ولا يزال أهل حوران إذا استغربوا أمرا أو أرادوا معرفة كنهه سألوا: شو دينو؟ أي: ما دينه؟ ما هو أمره وما طبعه وما عادته؟

والدين أيضا: الحكم، معنى قديم جدده الإسلام " مالك يوم الدين".

والدين: العقيدة والاعتقاد والتعبد، وهو معنى إسلامي غير مسبوق...

تطور بالزيادة في المفردات والصيغ

صيغة فعيل بمعنى مفعول، مثل جريح بمعنى مجروح، وقتيل بمعنى مقتول .

صيغة فاعل بمعنى مفعول، مثل طاعم بمعنى مطعوم، وقد ورد ذلك في قول الشاعر:

فاقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الـكاسي

وقد ورد ذلك في القرآن الكـريم في قـوله تعـالى: ﴿فَهُـوَ فِي عِيشَـةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة:٢١] أي: مرضية.

لفظة أب: للأب والجد والعم والصاحب.

ألفاظ القرابة: الأبوة والأمومة والعمومة.

أب – أم – أخ – عم – خال – جد – حم.

كل هذه الألفاظ أوردت لها معاجم اللغة العديد مـن صـور نطقهـا وتصريفاتها ودلالاتها، انقرض منها ما انقرض وظل بعضـها حيـا حـتى يوم الناس هذا، مع تغيير في بعض صور النطق في الفصحى والعامية.

تطور نقصان: تطور بالنقص والسلب:

وهو أن يكون للكلمة معنيان، فيموت أحـدهما أو يضـمحل أحـد المعنيين ويقتصر على أحدهما دون الآخر مثل:

١- الطرب: هو خفة الحركة تصيب الرجل والمرأة عند الفرح وعند الحزن، وتم الاقتصار على معنى الفرح.

٢- المأتم: في المعاجم: هو اجتماع النساء للفرح وللحـزن، وتطـور الأمر إلى الاقتصار على معنى واحد هو الحزن فقط.

٣- الصريم: (فأصبحت كالصريم)، أصلها في الاستعمال القديم تقال في وصف الليل بأنه صريم، وفي وصف النهار بأنه صريم، ثم انحسر الاستعمال في الليل فقط.

٤- الأبيض اللون: للفرح وللحزن، ثم انحسر ليصبح للفرح فقط.

٥- السواد للون الأحمر والأخضر والأسود: ثم انحسر في الأسود فقط.

تطور دلالات لفظة الصوم

الصوم في المعجم معناه: الامتناع والإمساك، فيصح أن يطلق الصيام على الامتناع عن الطعام والشراب، ويصح أن يطلق الصيام في الامتناع عن الكلام.

قلَّ استعمال الصوم في غير الانقطاع عن الطعام والشراب، وانصرف الاستعمال إلى الصيام عن الطعام والشراب.

مظاهر عبقرية في مفردات اللغة وجمالها

مناسبة الحروف والكلمات للمعاني:

١- القاف – الخاء في القضم – الخضم

القضم للشيء اليابس، والخضم للشيء اللين الرطب.

٢- الحاء والخاء نضح – نضخ

النضح للماء القليل، والنضخ لفوران الماء: (فيهما عينان نضاختان).

٣- خشن، واخشوشن

٤- غدن- واغدودن: مال – تمايل

٥- حلى – احلولي

مناسبة الألفاظ للمعاني

- خرير المياه
- صليل السيوف
- عواء الكلاب
- هديل الحمام
- نهيق الحمير
- أزيز الريح
- نسمات الصبا
- زقزقة العصافير

- سوسنة الذهب

- فحيح الثعبان

- حفيف الشجر

ومن عبقرية اللغة العربية مرونتها ميلها إلى الاختصار كما في: النحت والاشتقاق

بسمل: قال: بسم الله الرحمن الرحيم

حوقل: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله

حسبل: قال: حسبنا الله ونعم الوكيل

سبحل: قال: سبحان الله والحمد لله

هلل وكبر: قال: لا إله إلا الله والله أكبر

مرونة اللغة العربية واستيعابها اللغات الأخرى، فظهرت لدينا دراسات هامة فيما يسمى بالمعرب والدخيل.

المعرب والدخيل

المعرب: والمقصود بالألفاظ المعربة تلكم الألفاظ الأعجمية التي دخلت اللغة العربية من لغات أخرى، فاستخدمها العرب كما هي وذات معناها، وذلك بعد أن أخضعها العرب للغتهم وأدخلوا عليها

بعض التغييرات التي تناسب طبيعة اللغة العربية، مثل سيِّف هذا الرقم في جهازك، أي احفظه من الكلمة الانجليزية save، تَلفن من التيليفون telephone. وهناك كثير من الألفاظ التي دخلت إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى واستعملتها العربية كما هي أو أدخلت عليها بعض التغييرات لتتناسب وطبيعة نطق الأصوات وتكوينها في الكلمة العربية؛ قال الجوهري: تعريب الاسم الاعجمي هو أن تتفوه به العرب على منهاجها .

وقال أبو حيان الأندلسي في شرح التسهيل: العجمي عندنا هو كل ما نقل إلى اللسان العربي من لسان غيره .

وقال السيوطي: المعرب هو كل لفظة غير عربية استعملتها العرب بذات حروفها ومعناها الذى وضعت له في لغتها.

وقال التهانوي ت ١١٥٨ هـ: لفظ وضعه غير العرب في ذات المعنى الذي استعمله فيه العرب.

وقال عباس حسن رحمه الله: هو اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها وصقلته على منهاجها وأوزانها وربما استعملته على ما هو عليه دون صقل.

وقد ألف علماء العربية قديما وحديثا مؤلفات قيمة في موضوع المعرب ومن ذلك "المعرب من الكلام الأعجمي" على حروف المعجم

للجواليقي ت ٥٤٠، وكذلك رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا، وكذلك رسالة في التعريب لمحمد بن بدر الدين المنشي، وشفاء الغليل فيما في كلام الغرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي.

وتجدر الإشارة إلى أن المعرب والدخيل عند فريق من هؤلاء العلماء بمعنى واحد ولكن فريقا آخر يفرق بينهما.

بيد أن قضية الألفاظ المعربة في القرآن الكريم وفي كلام العرب قد شغلت بال كثير من العلماء فأنكرها فريق منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى، وذلك حيث يقول: من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول، وتابعه من علماء الأمة المحققين شيخ المحققين العرب في العصر الحديث الشيخ أحمد شاكر رحمه الله حيث تعقب كل الألفاظ التي ذكرها الجواليقي في كتابه المعرب، وحاول جاهدا أن يجد لها أصولا واستعمالا عربيا، ومن نماذج تعليقات الشيخ العلامة أحمد شاكر رحمه الله على ما أورده الجواليقي ككلمة التنور، قال الشيخ شاكر رحمه الله: وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها أعجمية، ونحن نخالفهم في ذلك ونرى أنها عربية جاءت على بناء نادر من أبنية العربية، وكذلك ذكر ذلك في لفظة دينار وغيرها.

وقد علق العالم اللغوي النحوي الكبير: اد. رمضان عبدالتواب على آراء الشيخ شاكر بقوله: ويطول بنا المقام لو رحنا نتعقب آراء الشيخ شاكر ضد من قالوا بوجود المعرب في القرآن الكريم، وهو تعصب لا مبرر له، لأن الكلمة المعربة تصبح عربية بمجرد استعمال العرب لها، غير أن الذى جعل فريقا من العلماء ينكر وجودها هو أنهم وجدوها تدل على معنى لم يكن موجودا في العربية، وهذا أمر طبيعي لأن هذه الكلمة وفدت إلى العربية بلفظها ومعناها الذي يعتبر معنى جديدا في البيئة العربية آن ذاك، ومن أمثلة ذلك في حياتنا المعاصرة التليفون والراديو والتلفزيون وكثير من أسماء الأدوية التي اكتشفها غير العرب فوصلت إلينا بلغتهم واستعملناها بنفس حروفها ومعناها، كالإسبرين والأنسولين وغيرها من الأدواء والأدوية شفانا الله وإياكم من كل الأمراض والعلل .

الألفاظ الميتة:

كل الألفاظ الدالة على عورات الإنسان يعتريها الموت والتجديد والتبديل والتغيير والكفاية.

وكل الألفاظ الدالة على العملية الجنسية هي كذلك يعتريها الموت والاستبدال، وكذلك أعضاء جسد الإنسان ومسمياتها قابلة للحياة، وكل ألفاظ الطبيعة وما يحيط بالإنسان قابلة للحياة ؛ مع أن بعض

العلماء أجرى بحثا حول ألفاظ الطبيعة وما يموت منها وما يظل حيا، فوجد أن كثيرا من ألفاظ الطبيعة تشتمل على حرف الراء، وما وصل إلينا بغير حرف الراء فهو قليل، مثل سماء – سحاب – نخيل ...

ومما وصل إلينا بحرف الراء مثل: أرض – تراب – رمل – حجر – صخر - بر – بحر – قطر – مطر – نهر – بئر – رعد – برق – برْد – برَد– قر – حر – رمض -رمضان – ناجر –ربيع – خريف – شرق – غرب – شجر – ورق – ثمر – طير – ريح – رياح – ورد – زرع ... إلخ.

ويرى أنه من المحتمل أن تكون هناك ألفاظ من الألفاظ التي تعبر عن الطبيعة قد ماتت، وهذا يصدق على ألفاظ كثيرة ومجالات دلالية أخرى.

أسباب موت الألفاظ وإحياؤها:

- **الظروف السياسية.**

- **الظروف الاجتماعية**: ابتذال الكلمة وعدم قبول استعمالها مثل كل ألفاظ العملية الجنسية، وألفاظ الشتائم والسب، وكذلك بعض الألفاظ الأخرى مثل:

- دخل – خش كلاهما عربية فصيحة صحيحة، بدأت الثانية في الذبول.

- **التفاؤل والتشاؤم** – ألفاظ الموت.

انتقل إلى رحمة الله – فاضت روحه – هلك – فنى – انتهى – خاس.

وقد يكون للخفة والثقل وقداسة اللفظة عند المسلمين سبب من أسباب حياة الكلمة أو موتها، فنحن نلاحظ أن هناك بعض الألفاظ تعتبر ميتة الاستعمال في غير النص القرآني، ولكنها حية مستعملة في النص القرآني، ومن ذلك الفعل أبلس وتركيب "أنلزمكموها"، وغير ذلك من الألفاظ، وكذلك هناك استعمالات عربية كان العلماء لا يرونها فصيحة ويجعلونها في دائرة عدم الرضى لتموت، لكننا وجدناها لا تزال حية واكتسبت شهرة وانتشارا على حساب التركيب الأكثر فصاحة، ومن ذلك لغة أكلوني البراغيث، مثل حضروا الطلاب بدلا من حضر الطلاب، فهذه اللغة وهذا التركيب وهذا الاستعمال كان ميتا قديما، لكنه أصبح حيا في العصور الحديثة على ألسنة المثقفين في مصر وبعض البلدان العربية، وكذلك استعمال لعل بمعنى في كقول الشاعر: لعل أبي المغوار منك قريب، وكذلك استعمال متى حرف جر بمعنى من في قولهم: أخرجها متى كمه، أي من كمه. فكل هذه التراكيب والاستعمالات كانت حية في القديم ثم أصبحت ميتة لقلة مستخدميها في العصور المتأخرة والحديثة.

ومن عبقرية اللغة العربية تطور دلالات الألفاظ القديمة إلى دلالات حديثة:

مثل: المدفع – القنبلة – الدبابة – اللغم – الطيارة – السيارة – البريد – القاطرة- السخان – المذياع – التسجيل – الجرائد – الصحف – المجلات – المحافظة – الأقسام – المرور، فكل هذه الألفاظ كان لها معان أخرى غير معناها الذي يستعمل الآن ..

ومن عبقرية اللغة العربية أن لها علاقة قوية بالمستويات الأخرى

علاقة الفصحى بالمستويات الأقل فصاحة وبالعاميات:

ومن مظاهر ذلك:

١- إهمال الإعراب: فتسكن ما حقه الرفع أو النصب وتقف على أواخر الكلمات بالسكون، قال سيبويه ص. ٢/ ٢٩٧ "إن العرب يسكنون الحرف المرفوع والمجرور في الشعر، ويمثل ذلك بقول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغلِ

ومعنى مستحقب مكتسب، وسكّن أشرب إما ضرورة وإما على لغة، أو على تقدير، وليس في شعره غير ذلك.

وفي الأشباه والنظائر ٦٦/١ لأبي زيد معاصر الأصمعي ما رواه من قول العذافر الكندي:

قالت سليمى اشترْ لنا سويقا وهات بر البخس أو دقيقا

والسويق طعام من الحنطة، وبر البخس حنطة هذا المكان، وقد سكن لفظة اشتر، ضرورة شعرية.

وروى السيوطي في "الهمع" عن ابن مالك النحوي المشهور أن أبا عمرو بن العلاء أحد قراء الذكر الحكيم حكى عن قبيلة تميم أنها تجيز ذلك فيما توالت فيه الحركات تخفيفا، كما تشهد بذلك قراءات أبي عمرو بن العلاء: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[البقرة:١٢٨] ، ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾[البقرة:١٢٩]، ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ ﴾[آل عمران:٨٠]. قال ابن مجاهد: وكان أبو عمرو يسكن لام الفعل تخفيفا لا طرحا للإعراب. وقرأ: فأصدق وأكن من الصالحين.

ومما ورد في الشعر من قبائل ربيعة أنها كانت تقف بالسكون على المنصوب والمفعول به، قال شوقي ضيف رحمه الله: وأمري أن ذلك كان في الحديث اليومي، أما شعراؤها فيندر منهم ذلك كما قال صاحب الهمع ٢٠١/٦ راويا عن ابن الحنبلي الحلبي في كتاب بحر العوام من قول أحد شعراء ربيعة:

ألا حبذا غنم وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائما دنف

فقد سكن دنف أي: سقيم.

قال شوقي ضيف في كتابه: تحريفات العامية للفصحى- دار المعارف ١٣:

وإهمال الإعراب ظاهرة ليست في العامية المصرية وحدها بل في جميع العاميات في البلاد العربية، إذ لم يكن سكانها يعربون الكلام في لغاتهم الأصلية، وقد انتشر ذلك واستمر حتى وصلنا إلى القرن السادس الهجري فيلقانا ابن بري العالم اللغوي الشهير ت ٥٨٢ هـ حيث كان لا يتقيد بالإعراب في كلامه، قال ابن خلكان: مما يدل على أن العامية كانت قد شاعت على ألسنة المصريين منذ عصره – أي عصر ابن بري.

ومن يرجع إلى موشحات ابن سناء الملك شاعر صلاح الدين الأيوبي في كتابه الطراز يجده يهمل الإعراب مرارا في بعض تعبيراته ونسوق من ذلك بعض أمثلة إذ يقول:

الموشح السادس: فرجعت خايب .. حين فر هارب

الموشح ١٨: غزالا فاتر الأجفان فاتن

الموشح ٢١: قولا صحيح

الموشح ٢٣: كنت غادر – طرف فاتر – سيفا باتر

الموشح ٢٤: ما أراني راضي

الموشح ٣٥: لم أكن ذاهل لم أكن غافل

فهذا مما يدل على شيوع إهمال الإعراب منذ العصر الأيوبي – القرن السادس الهجري.

علاقة الفصحى بالعاميات:

- التغيير في صيغة الفعل الثلاثي من فعل بفتح الفاء وكسر العين – إلى فعل بكسر الفاء والعين مثل:

سمع، حزن، ضحك، فرح، علم، فهم، حمد، ربح، ورث، خجل، عمل، تعب، كتب ...

بكسر الحرف الأول في الماضي تشبيها له بكسر المضارعة في تكتب

- وربما نطقوا الصيغة بالضم للأول والثاني فيقولون: سهل بدلا من سهل، وطهر بدلا من طهر – عنف بدلا عن عنف.

- وربما أبقوا فتح الأول والثاني في كثير من الأفعال دون ضابط: سكن، عرف، فسد، كسب وهكذا.

وقد روى أن قبيلة قيس كانت تكسر أوائل الكلمات.

المبحث الرابع: عبقرية التركيب في اللغة العربية:

ومن عبقرية التركيب في اللغة العربية ظاهرة الحذف والذكر ومنها:

حذف المفعول به:

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[الضُّحى:١-٢-٣] فقد حذف المفعول به وهو الهاء في الفعل قلى، وكان أصلها قلاك، فحتى لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منسوبا إلى القلى-أي غضب الله حتى في سياق النفي، فقد تم حذف الضمير من الفعل قلى مع أنه ورد في ودعك، لأن معناها لا يحمل ذات دلالات قلى.

ومن حذف المفعول أيضا قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين﴾[النحل:٩] أي ولو شاء هدايتكم.

وقوله تعالى: ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾[الفرقان:٤١] أي بعثه.

حذف الخبر:

في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤] أي اللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف الخبر لدلالة ما تقدم عليه وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى،

ذكرتها كتب النحو وكتب علم المعاني، وقد ذكرت هذه الكتب مواضع الحذف وصوره وأغراضه وأسراره في القرآن الكريم والشعر العربي.

حذف الصفة:

في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩] أي كل سفينة صالحة.

وفي هذه الآية ملمح بلاغي جميل وعبقرية قرآنية متفردة ونظم جميل غير مسبوق حيث لم يصرح بذكر وصف السفينة التي يأخذها الملك وحذف صفتها اعتمادًا على فصاحة العرب وقدرتهم على فهم الكلام ورد العجز على الصدر، ففي قوله: (فأردت أن أعيبها) دليل على أن الملك كان يأخذ كل سفينة صالحة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحُجُرات:٦]

انظر إلى تنكير لفظة "نبأ" وعدم وصف هذا النبأ بأي صفة ليترك لنا القرآن الكريم الوصف الذي يليق بهذا النبأ الذي سينتج عنه التخريب والدمار والخسران والبوار والندم ساعة لا ينفع الندم، وهذا ملمح بلاغي أمرنا القرآن الكريم فيه أن نتبين كل ما نسمعه ولا نسير وراء

الإشاعات الهدامة المدمرة، وقد رأينا كيف استطاعت الإشاعات في السنوات الأخيرة الماضية أن تلوث أفرادا ورموزا وتاريخا بل ودولا بأكملها، وتوشك هذه الإشاعات أن تقضي عليها بسبب عدم إنصاتنا لهذه الآية وما تشير إليه من ضرورة التبين والتثبت والتحقق من كل ما نقرأه ونسمعه، إن الحذف في هذه الآية مقصده عظيم وجاء بعد تنكير أيضا مقصده عظيم، وقد صدقت العرب عندما قالوا إن التنكير يفيد العموم، والعموم الذي في قوله تعالى "نبأ" قد تكون فيه الفائدة التي تغني عن تقدير صفة محذوفة لهذا النبأ، هل هو نبأ سيء، نبأ غير مؤكد، نبأ غريب، نبأ سوء، نبأ شر، نبأ شؤم، كل ذلك تحتمله كلمة نبأ النكرة، مع أن الآية قد ذكرت عدة عناصر تجعلنا نشك في هذا النبأ: أولها أن حامل النبأ وصفه القرآن بأنه فاسق، فكل فاسق يحمل لنا نبأ يحتاج منا أن نتحقق من هذا النبأ والعكس بالعكس، فكل من يحمل أنباء مكذوبة فهو فاسق، والعنصر الثاني في هذه الآية هو قوله تعالى "فتبينوا" فالأنباء السلبية والأنباء المفزعة وأنباء الشر والهدم والخراب والدماء تحتاج إلى أن نتبينها ونتحقق من صدقها وكذبها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤] والحذف هنا يحتمل عدة أمور حيث يجوز أن يكون المحذوف في الآية هو أداة النفي قبل الفعل يطيقونه، والتقدير: على

الذين لا يطيقونه، ويجوز أن يكون المحذوف هو الجار والمجرور بعد الفعل يطيقونه، والتقدير: على الذين يطيقونه بمشقة، وهذا يدل أبلغ دلالة أن الحذف في القرآن الكريم وفي الشعر العربي وفي كلام العرب جاء ليؤدي رسالة عظيمة تجعل ألفاظ القرآن في المرتبة العليا من الجمال والنظم البديع، وتجعل معانيه وأحكامه الفقهية صالحة متطورة مناسبة لكل زمان ومكان، وقد رأينا ذلك في هذه الآية وما يترتب عليها من جواز إفطار رمضان لمن لا يطيق صيامه بسبب مرض أو سفر أو كبر سن أو غير ذلك.

ومن الذكر قول الشاعر في رثاء خريم بن مالك:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وإني وإن أظهرت صبرا وحسبة وصانعت أعدائي عليه لموجع

وأعددته ذخرا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

فذكر المفعول به "دما" كي يظهر آلامه وحزنه على بلواه التي تستحق أن يبكي الإنسان دما لا دمعا من ماء، إنه يعاني من آلام شديدة، ولذلك فقد أبدع علماء المعاني في هذا المجال، ولعل ما أورده الشيخ عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وغيره فيما اصطلح عليه بالنظم في علوم البلاغة غنية وكفاية.

ومن الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء:١٢٧]

انظر إلى دور النحو في تفسير النصوص على الوجه الصحيح من خلال تعدد التقديرات كما في هذه الآية: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧]

يجوز تقدير حرف الجر "في"، ويجوز تقدير حرف الجر "عن"، والآية وسياقها تحتمل كلا منهما، ولكل منهما وجه، وكأن عدم ذكر أحد الحرفين إشارة إلهية مقصودة لأن بعض يتامى النساء كن من الجميلات اللاتي يرغب الأولياء القائمون على أموالهن في نكاحهن، ولذلك فإن تقدير الحرف "في" أي ترغبون في نكاحهن يبيح لهؤلاء الأغنياء الزواج من يتامى النساء إذا رغبوا فيهن. وإذا قدرنا "عن" كان المعنى أن هؤلاء الأغنياء لم يكونوا يرغبون في الزواج من هؤلاء اليتامى لاعتبارات كثيرة، والآية تحتمل هذا وتحتمل ذاك.

ومن عبقرية التركيب في اللغة العربية

ظاهرة التقديم والتأخير

وقد ذكر العلماء من أسباب تقديم ما حقه التأخير ما يلي:

١- عدم الإخلال بالمعنى المقصود.

٢- كون ذكره أهم والعناية به أتم.

٣- مراعاة الفواصل القرآنية أو القوافي الشعرية.

أولا: عدم الإخلال بالمعنى:

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾[الإسراء:٣١].

حيث قدم المخاطبين في الأولى (نرزقكم وإياهم) دون الثانية: (نرزقهم وإياكم) لأن الخطاب في الأولى للفقراء وهؤلاء رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم لأنهم يعيشون بأنفسهم آثار الفقر والفاقة ... وهكذا قدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم لاستدعاء المقام ذلك.

أما الخطاب في الآية الثانية للأغنياء فهم أغنياء يملكون رزقهم حال خطاب الآيات لهم ولكنهم يخافون غدا أن يكونوا فقراء، فقدم ذكر الأبناء لأن الأغنياء يخافون من أن يصبحوا فقراء غدا بكثرة الأبناء، فذكرتهم الآيات بأن الله أغناهم وسيغنيهم اليوم وغدا.

ومن جمال التركيب: كون ذكره أهم والعناية به أتم مع مراعاة الفواصل:

اقرأ معي قوله سبحانه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾[طه:٦٧]

فلو قالت الآيات (فأوجس موسى في نفسه خيفة) لاختل النظام الموسيقي للآيات لعدم مراعاة فواصلها التي تتابعت قبل هذه الآية وبعدها، ومراعاة الفواصل القرآنية هدف عظيم ومقصد من مقاصد البلاغة القرآنية وإن لم يكن هدفا في ذاته، بل هو هدف لصيق بأهداف أخرى لا تنفك عنه، ونحن نلاحظ أن ذكر موسى هنا وهو الفاعل قد تأخر عن الجار والمجرور الذي هو في نفسه إشارة إلهية لموسى وتعليم لنا نحن المسلمين (أن الله يعلم السر وأخفى) وأن الله سبحانه وتعالى مطلع على ما في قلوب عباده، فيسترهم، ويحفظهم، ويعينهم ... (إنه عليم بما في الصدور) ، وهو عليم خبير.

عبقرية التركيب وجمالياته في استخدام الاستفهام المنفي بـــ لـم مـع الفعل ترى، وذلك في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَرَبَ اللَّه مَـثَلاً كَلِمَـةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ [إبراهيم:٢٤].

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيـنَ بَـدَّلُواْ نِعْمَـةَ اللّه كُفْـرًا وَأَحَلُّـواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَار﴾ [إبراهيم:٢٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللّه مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَـةً مُّطْمَئِنَّـةً يَأْتِيهَـا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّه فَأَذَاقَهَا اللّه لِبَاسَ الْجُـوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾[النحل:١١٢].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَن أَعْطَـى وَاتَّـقَى وَصَـدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل:٤-٧].

فكل هذه الآيات تحتاج إلى وقفات، ووقفـات لسـبر أغوارهـا وفهـم أسرارها، وذلك من خلال آراء المفسرين وعلماء البلاغـة والمعـاني وهي وحدها بدون عرض آراء هؤلاء العلماء تعتبر لوحات فنية رائعـة تشـد العقول وتأخذ بالألباب.

الإيجاز والإطناب وجمال التركيب في الاختصار:

جمال اللغة في الأمثال وتطور المثل في الفصحى إلى الدارجة والعامية:

١- أن ترد الماء بماء أكيس. زيادة الخير خيرين.

٢- أبعد من النجم "في العيد". لما تروح في السماء.

٣- العبرة بالخواتيم. المهم من يضحك الآخر.

٤- ابدأهم بالصراخ يفروا. خدوهم بالصوت.

٥- إذا اشتريت فاذكر السوق. حسن السوق ولا حسن السلعة.

٦- أحشفا وسوء كيلة. ميتة وخراب ديار.

٧- قلب لهم ظهر المجن

٨- رمية من غير رام

٩- آفة العلم النسيان

١٠- ضاع العلم بين الحياء والكبر

١١- خادم القوم سيدهم. سيد القوم خادمهم

١٢- كاد العروس أن يكون ملكا

١٣- ظن العاقل خير من يقين الجاهل

الزمن وبلاغة التركيب في القرآن الكريم

الزمن صيغه ودلالاته وأقسامه

ماض – مضارع – حال – أمر – مستقبل

وفي اللغة العربية أقسام دقيقة لكل نوع من أنواع الزمن.

فالماضي يمكن أن يكون ماضيا بسيطا أو تاما أو مستمرا أو قريبا.

والمضارع كذلك والأمر والمستقبل كذلك. نص على ذلك علماؤنا القدامى في القرن الرابع والخامس والسادس الهجري، ونص على ذلك المحدثون.

ومن عبقرية التركيب تعدد الدلالات الزمنية ودقة تحديدها في اللغة العربية.

وفي القرآن الكريم صور عديدة منها:

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.

وذلك للتأكيد على حتمية وقوعه لا محالة، وأن ذلك في حكم المنقضي الذي لا يستطيع بشر تغييره، ومن ذلك قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾[النمل:٨٧].

فمعنى "فزع" أي سيفزع، لأن الحدث لمّا يقع بعد، ولكنه عبر عنه بصيغة الماضي إشارة إلى تحقق وقوعه، فهو لا محالة واقع ليس له من دافع، ويفيد استعمال الماضي هنا وظيفة تربوية مهمة تتصل بمعالجة أشد أمراض الإنسان، وهو مرض اللامبالاة بالأمور المستقبلية في ما يتعلق بالثواب والعقاب، وهكذا يجيء الماضي "فزع" ليستيقظ النائمون من البشر الغافلون عن التوبة إلى الإفاقة والتوبة، فالحساب

والعقاب ماثل أمام أعينهم ودورهم ليس ببعيد، وقوله سبحانه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:١] ، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[الروم:٤١] ، وقوله: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد﴾ [ق:١٩]

الماضي بصيغة المضارع

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر:٩] أي فأثارت سحابًا.

الماضي القريب في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[النساء:٩٠] وتقدير تفسير الآية: أو جاؤوكم قد حصرت صدورهم، فقد قدر العلماء "قد" قبل الفعل "حصرت" لأن "قد" تقرب الماضي من الحال، وتقدير معني الآية: أو جاؤوكم حاصرة صدورهم، وهذا يعني أن حاصرة حال. راجع الآية في كتب التفسير وما يتعلق بها في كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم .

التراكيب الجميلة في الحديث النبوي

أقواله صلى الله عليه وسلم كلها جميلة، وأسباب جمالها كثيرة، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصى.

ومن أقواله الجميلة صلى الله عليه وسلم:

١- "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشم منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك أو تشم منه ريحا خبيثة"

٢- "لا يكن أحدكم إمعة، إن أحسن الناس قال أحسنت، وإن أساءوا قال أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم".

٣- "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء لا تقل لو كان كذا كان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان".

٤- وقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"

٥- "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"

٦- "من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة"

٧- "من ستر مؤمنا ستره الله في الدنيا والآخرة"

٨- "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"

٩- من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة"

١٠- "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"

١١- "ومن بطّأ به عمله، لم يسرع به نسبه" رواه مسلم

من جماليات التركيب:

من أدوات ووسائل جمال التراكيب العربية في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي:

علم البديع:

معناه لغة المخترع على غير مثال سابق.

اصطلاحا: علم يعرف فيه وجوه تحسين الكلام ومطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

المحسنات البديعية قسمان:

١- محسنات معنوية وهي التي يكون حسن الكلام وجمال راجعا إلى معنى التركيب لا إلى لفظه فقط فالجمال للمعنى أولا ثم يأتي اللفظ كوسيلة مساعدة

٢- محسنات بديعية لفظية وهي التي تهتم باللفظ أولا ثم يجيء المعنى لاحقا مع اللفظ

وقد ذكر علماء العربية قرابة (٣٤) محسنا بديعيا للكلام يرجع الجمال فيه إلى المعنى لا إلى اللفظ، وذكروا لها شواهد من القرآن الكريم والشعر العربي والحديث النبوي.

ومن هذه المحسنات:

المطابقة – المقابلة - مراعاة النظير – المشاكلة – التورية – الطي والنشر – الجمع – المبالغة – تأكيد المدح بما يشبه الذم - وتأكيد الذم بما يشبه المدح - الهزل الذي يراد به الجد – الأسلوب الحكيم – حسن الابتداء – حسن الختام – موافقة اللفظ للمعنى.

المطابقة:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

المقابلة بين عدد من المعاني:

- بين معنيين كما في قول المتنبي:

مـا أحسـن الديـن والدنيـا إذا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

- بين أربعة معاني متطابقة:

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنة فسنيسره للعسرى ... وما يغني عنـه مـاله إذا تردى).

- **مراعاة النظير**

تشابه أطراف الكلام بما يتناسب ومعانيه.

﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْصَـارَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الْخَبِـير﴾ [الأنعام:١٠٣] وقوله صلى الله عليه وسلم: "الإحسـان هـو أن تعبـد الله كأنك تراه فإنك أن لم تكن تراه فإنه يراك"

فالمعاني المتناسبة يقوي بعضها بعضا ويجمل بعضها بعضا.

- **الإرصاد**:

هو توقع خواتيم الكلام كأنه يرصده

﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان﴾[الرحمن:٦٠]

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور﴾[سبأ:١٧]

(فتبارك الله أحسن الخالقين) بعد قوله سبحانه : ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤].

قول البحتري:

أبكيكما دمعا ولو أني على قدر الجوى أبكي بكيتكما

الجمع:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف:٤٦]

إن الشباب والفراغ والجدة .....

الخيل والليل والبيداء تعرفني .....

المبالغة:

هي الاجتهاد وبلوغ المستحيل شدة وضعفا

﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور:٤٠]

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥]

ومن جماليات التركيب في اللغة العربية والقرآن الكريم:

الوصل والوقف:

وجوب الوصل: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥] حيث يجب وصل كلمات هذه الآية بعضها ببعض وعدم التوقف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأن ذلك سيؤدي إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يستحقه على سبيل الابتداء، ولكن الوصل يؤدي إلى تعليق حصول الجواب على حصول الشرط، وهو أمر مستحيل، فكل من الشرط والجواب في هذه الآية يقترن كل منهما بالآخر ولا يحصل أحدهما منفكا عن الآخر، ولن يحصل أحدهما على أي حال من الأحوال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لن يتبع أهواءهم بأي حال من الأحوال، وإلا ما كان رسولا لهم بل كانوا هم رسلا إليه، وهذا مستحيل.

ومن الوصل الواجب أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أو عَلَى سَفَرٍ أو جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أو لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ أن اللَّه كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣].

فلو وقفنا عند قوله تعالى: لا تقربوا الصلاة لكان هذا نهيا عن إتيان الصلاة مطلقا، وهذا على خلاف المطلوب، لأن القرآن الكريم أمر بأداء الصلاة في وقتها قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣] لكن النهي في ولا تقربوا الصلاة منصب على الجمع بين السكر وإقامة الصلاة حال السكر، فالنهي إذًا منصب على الجمع بين الأمرين عندما كان السكر في بادئ الأمر لم ينزل فيه نص صريح بالتحريم، بل إن كثيرا من العلماء يعتبر أن هذه الآية من آيات التدرج في تحريم الخمر والتي وصل فيها النص بعد دعاء عمر بن الخطاب ربه أن ينزل جوابا شافيا في تحريم الخمر فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾[المائدة:٩٠] ومن وجوب الوصل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُون اللّه يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون﴾[البقرة:١٤-١٥].

أنزلت هذه الآية في ذكر المنافقين. أصل لقوا: لقيوا، نقلت الضمة إلى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين. وقرأ محمد بن السميقع اليماني: "لاقوا الذين آمنوا". والأصل لاقيوا، تحركت الياء وقبلها فتحة

انقلبت ألفا، اجتمع ساكنان الألف والواو فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم حركت الواو بالضم.

وإن قيل: لم ضمت الواو في لاقوا في الإدراج وحذفت من لقوا؟ فالجواب: أن قبل الواو التي في لقوا ضمة فلو حركت الواو بالضم لثقل على اللسان النطق بها فحذفت لثقلها، وحركت في لاقوا لأن قبلها فتحة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أن قيل: لم وصلت "خلوا" بـ "إلى" وعرفها أن توصل بالباء؟ قيل له: "خلوا" هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا، ومنه قول الفرزدق:

كيف تراني قالبا مجني أضرب أمري ظهره لبطنِ

قد قتل الله زيادا عني .....

لما أنزل منزلة صَرَف.

وقال قوم: "إلى" بمعنى مع، وفيه ضعف. وقال قوم: "إلى" بمعنى الباء، وهذا يأباه الخليل وسيبويه. وقيل: المعنى وإذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم، فـ "إلى" على بابها. والشياطين جمع شيطان على التكسير، وقد تقدم القول في اشتقاقه ومعناه في الاستعاذة. واختلف المفسرون في المراد بالشياطين هنا، فقال ابن عباس والسدي: هم رؤساء الكفر.

وقال الكلبي: هم شياطين الجن. وقال جمع من المفسرين: هم الكهان. ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الإيمان والخير يعم جميع من ذكر. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ أي مكذبون بما ندعى إليه. وقيل: ساخرون. والهزء: السخرية واللعب، يقال: هزئ به واستهزأ، قال الراجز:

قد هزئت مني أم طيسلة قالت أراه معدِما لا مال له

وقيل: أصل الاستهزاء: الانتقام، كما قال الآخر:

قد استهزؤوا منهم بألفي مدجج سراتهم وسط الصحاصح جثّم

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي ينتقم منهم ويعاقبهم، ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم، فسمى العقوبة باسم الذنب. هذا قول الجمهور من العلماء، والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم، من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى انتصاره جهلا، والجهل لا يفتخر به ذو عقل، وإنما قال ليزدوج الكلام فيكون أخف على اللسان من المخالفة بينهما.

وكانت العرب إذا وضعوا لفظا بإزاء لفظ جوابا له وجزاء ذكروه بمثل لفظه وإن كان مخالفا له في معناه، وعلى ذلك جاء القرآن والسنة. وقال الله عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] والجزاء لا يكون سيئة. والقصاص لا يكون اعتداء، لأنه حق وجب، ومثله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. و﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً، وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]. و﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وليس منه سبحانه مكر ولا هزء إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وجزاء كيدهم، وكذلك ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يمل حتى تملوا ولا يسأم حتى تسأموا". قيل: حتى بمعنى الواو أي وتملوا. وقيل المعنى وأنتم تملون. وقيل: المعنى لا يقطع عنكم ثواب أعمالكم حتى تقطعوا العمل. وقال قوم: إن الله تعالى يفعل بهم أفعالا هي في تأمل البشر هزء وخدع ومكر، حسب ما روى: "إن النار تجمد كما تجمد الإهالة فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم".

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ هم منافقو أهل الكتاب، فذكرهم وذكر

استهزاءهم، وأنهم إذا خلوا إلى شياطينهم يعني رؤساءهم في الكفر- على ما تقدم قالوا: إنا معكم على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ﴾ في الآخرة، يفتح لهم باب جهنم من الجنة، ثم يقال لهم: تعالوا، فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك -وهي السرر- في الحجال ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فيضحك المؤمنون منهم، فذلك قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي في الآخرة، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب، فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤ - ٣٥] إلى أهل النار ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦].

وقال قوم: الخداع من الله والاستهزاء هو استدراجهم بدرور النعم الدنيوية عليهم، فالله سبحانه وتعالى يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم، ويستر عنهم من عذاب الآخرة، فيظنون أنه راض عنهم، وهو تعالى قد حتم عذابهم، فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء ومكر وخداع، ودل على هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الله عز وجل يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج". ثم نزع بهذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

وقال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾: [الأعراف: ١٨٢] كلما أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة.

وجوب الوقف والقطع: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّه ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُون﴾[الأنعام:٣٦].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي سماع إصغاء وتفهم وإرادة الحق، وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به ويعملون؛ قال معناه الحسن ومجاهد، وتم الكلام. ثم قال: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ وهم الكفار؛ عن الحسن ومجاهد؛ أي هم بمنزلة الموتى في أنهم لا يقبلون ولا يصغون إلى حجة. وقيل: الموتى كل من مات. ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي للحساب؛ وعلى الأول بعثهم هدايتهم إلى الإيمان بالله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن الحسن: هو بعثهم من شركهم حتى يؤمنوا بك يا محمد – يعني عند حضور الموت – في حال الإلجاء في الدنيا.

جواز الأمرين مع ترجيح أحدهما

قوله تعالى: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين﴾[البقرة:٢].

قال القرطبي: قوله تعالى: "الم" اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السورة، فقال عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر. فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن نؤمن بها ونقرأ كما جاءت. وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر. وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله جل وعز بها.

قلت: ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري: حدثنا الحسن بن الحباب حدثنا أبو بكر بن أبي طالب حدثنا أبو المنذر الواسطي عن مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن الربيع بن خثيم قال: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون، ولا بكل ما تعلمون تعملون.

قال أبو بكر: فهذا يوضح أن حروفا من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم، اختبارا من الله عز وجل وامتحانا، فمن آمن بها أثيب

وسعد، ومن كفر وشك أثم وبعد. حدثنا أبو يوسف بن يعقوب القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن عمارة عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

ابن عباس في قوله: ﴿الم﴾ قال: أنا الله أعلم، ﴿الر﴾ أنا الله أرى، ﴿المص﴾ أنا الله أفصل. فالألف تؤدي عن معنى أنا، واللام تؤدي عن اسم الله، والميم تؤدي عن معنى أعلم. واختار هذا القول الزجاج وقال: اذهب إلى أن كل حرف منها يؤدي عن معنى، وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التي الحروف منها، كقوله:

فقلت لها قفي فقالت قاف

أراد: قالت وقفت. وقال زهير:

بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا

أراد: وإن شرا فشر. وأراد: إلا أن تشاء.

والوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها فإنك تعربها. واختلف: هل لها محل من الإعراب؟

فقيل: لا، لأنها ليست أسماء متمكنة، ولا أفعالا مضارعة، وإنما هي بمنزلة حروف التهجي فهي محكية. هذا مذهب الخليل وسيبويه.

ومن قال: إنها أسماء السور فموضعها عنده الرفع على أنها عنده خبر ابتداء مضمر، أي هذه ﴿الم﴾، كما تقول: هذه سورة البقرة. أو تكون رفعا على الابتداء والخبر ذلك، كما تقول: زيد ذلك الرجل. وقال ابن كَيسان النحوي: ﴿الم﴾ في موضع نصب، كما تقول: اقرأ ﴿الم﴾ أو عليك ﴿الم﴾. وقيل: في موضع خفض بالقسم، لقول ابن عباس: إنها أقسام أقسم الله بها.

الآية: ٢ ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ قيل: المعنى هذا الكتاب. و"ذلك" قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر وإن كان موضوعا للإشارة إلى غائب، كما قال تعالى في الإخبار عن نفسه جل وعز: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦]، ومنه قول خُفاف بن نُدبة:

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

أي أنا هذا. فـ "ذلك" إشارة إلى القرآن، موضوع موضع هذا، تلخيصه: الم هذا الكتاب لا ريب فيه. وهذا قول أبي عبيدة وعكرمة وغيرهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣]

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] أي هذه، لكنها لما انقضت صارت كأنها بعدت فقيل تلك. وفي البخاري "وقال معمر: ذلك الكتاب هذا القرآن". ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ بيان ودلالة، كقوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠] هذا حكم الله.

قلت: وقد جاء "هذا" بمعنى "ذلك"، ومنه قوله عليه السلام في حديث أم حرام: "يركبون ثبج هذا البحر" أي ذلك البحر، والله أعلم. وقيل: هو على بابه إشارة إلى غائب.

واختلف في ذلك الغائب على أقوال عشرة، فقيل: "ذلك الكتاب" أي الكتاب الذي كتبت على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق لا ريب فيه، أي لا مبدل له. وقيل: ذلك الكتاب، أي الذي كتبتُ على نفسي في الأزل "أن رحمتي سبقت غضبي". وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده أن رحمتي تغلب غضبي" في رواية: "سبقت".

وقيل: أن "ذلك الكتاب" إشارة إلى التوراة والإنجيل كليهما، والمعنى: الم ذانك الكتابان أو مثل ذينك الكتابين، أي هذا القرآن جامع لما في ذينك الكتابين، فعبر بـ "بذلك" عن الاثنين بشاهد من القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]

أي عوان بين تينك: الفارض والبكر، وسيأتي. وقيل: أن "ذلك" إشارة إلى اللوح المحفوظ. وقال الكسائي: "ذلك" إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد. وقيل: أن الله تعالى قد كان وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا، فالإشارة إلى ذلك الوعد. قال المبرد: المعنى هذا القرآن ذلك الكتاب الذي كنتم تستفتحون به على الذين كفروا. وقيل: إلى حروف المعجم في قول من قال: "الم" الحروف التي تحديتكم بالنظم منها.

والكتاب مصدر من كتب يكتب إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة، لاجتماعها. وتكتَّبت الخيل صارت كتائب. وكتبتُ البغلة: إذا جمعت بين شُفْري رَحِمِها بحلقة أو سير، قال:

لا تأمنن فَزاريا حللت به ... على قَلوصك واكتبها بأسيار

من جماليات التركيب:

التنغيم:

اقرأ معي قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[الدخان:٤٩]

وقوله سبحانه: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[النمل:٢٥]

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف:٢٩]

اقرأ معي التراكيب الآتية وحاول الوصول إلى المعاني والدلالات التي نفهمها من كل تركيب، فسوف تلاحظ أن كل تركيب منها سوف يفيد النداء وممكن أن تفيد التعجب، ويمكن أن تفيد الاستهزاء والسخرية، وممكن أن تفيد المدح والذم، حسب السياق والنغمة التي يجيء فيها كل تركيب:

- يا سلام
- يا عبقري
- يا ابن الذين
- ثكلتك أمك. من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم
- قم يا نومان. من من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم
- قم أبا تراب. من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم

فكل تركيب من التراكيب الماضية يحمل دلاله واحدة إذا لم نستعمل التنغيم في نطقه أو كتابته بوضع علامات تعجب أو استفهام.

فإذا استعملنا التنغيم استفدنا دلالات عديدة يمكن أن يحملها كل تركيب من التراكيب البسيطة الماضية وذلك على النحو الآتي:

يا سلام: المعنى الحقيقي نداء السلام، وباستعمال التنغيم في النطق يمكن أن نستفيد :

- التعجب: عندما نقول هذه العبارة تعليقا على خبر غريب سواء كنا نفرح به أو نستهجنه أو نستغربه

- الرفض: عندما نقولها تعليقا على طلب نرفضه أو لا نوافق عليه.

دور السياق في فهم المعنى المقصود

نماذج ونصوص أدبية من جماليات التركيب في الشعر العربي:

أبو الفتح البستي:

كان أبو الفتح رحمه الله تعالى شاعر عصره، وكاتب دهره، وأديب زمانه، في النظم والنثر، كما شهد لد بذلك معاصروه؛ وله شعر رائق تكثر فيه الحكم والمعاني البديعة، كما تشيع فيه الصنعة البلاغية العذبة، وله ديوان شعر مطبوع، وله مدائح كثيرة في الإمام الشافعي رضي الله عنه، وله (شرح مختصر الجويني) في فقه السادة الشافعية، ذكره له صاحب (كشف الظنون) .

وله نثر رائع بديع، يكثر فيه التجنيس والتبديع، فمن أقواله الحكيمة التي جرت مجرى الأمثال: من أصلح فاسده، أرغم حاسده. من

أطاع غضبه، أضاع أدبه. عادات السادات، سادات العادات. من سعادة جَدِّك، وقوفك عند حدك. الفهم شعاع العقل. حد العفاف، الرضا بالكفاف. المنية تضحك من الأُمنيَّة. الدعة، رائد الضعة. من حسنت أطرافه، حسنت أوصافه. أحصن الجُنَّة، لزوم السنة. العقل، جهبذ النقل. الإنصاف، أحسن الأوصاف. إذا بقي ما قاتك، فلا تأس على ما فاتك.

زيادة المرء في دُنياه نقصانُ ... وربحه غير محضِ الخير خسرانُ

أحسن إلى الناسِ تَستعبد قلوبهم ... فطالما استعبدَ الإنسان إحسان

يا خادمَ الجسم كم تَسْعى لخدمتَهِ ... أتطلب الربحَ مما فيه خسران ؟

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكن على الدهر مِعْواناً لذي أملٍ ... يرجو نداك فإن الحرّ مِعْوان

واشدد يديك بحبلِ الله معتصما ... فإنه الركن أن خانتك أركان

من يَتّقِ الله يُحمد في عواقبهِ ... ويكفهِ شرّ من عَزُّوا ومن هانوا

من استعانَ بغير الله في طلبٍ ... فإن ناصرَه عَجزٌ وخذلان

من كان للخير مَناعاً فليسَ له ... على الحقيقة خلان وأخدان

من جادَ بالمال جاد الناس قاطبة ... إليه، والمال للإنسان فتّان

مَنْ سالم الناس يَسلم من غوائلهم ... وعاشَ وهو قرير العين حذلان

مـن يزرع الشرّ يحصـدْ في عواقبـه ... نـدامة، ولـحصدِ الـزّرع إبـان
مـن اسـتنامَ إلى الأشرار نـام وفي ... رِدائـه مـنـهمُ صـلٌ وثـعبان
كـن ريّـق الـبشرِ أن الحـرّ همتـه ... صـحيفةٌ وعـليها الـبشرُ عـنوان
ورافـق الـرّفق في كل الأمـور فلـم ... يـندم رفـيق ولـم يـذمه إنسـان
ولا يـغـرّنك حـظ جـره خـرق ... هـدمٌ ورفـقُ المـرء بنيـان
أحسن إذا كـان إمـكان ومـقدرة ... فـلن يـدومَ عـلى الإحسان إمكان
فـالروض يـزدان بـالأنوار فاغمـهِ ... والـحر بـالعدلِ والإحسان يزدان
صـنْ حر وجهك لا تهتك غلالتـه ... فـكل حـر لـحر الـوجه صـوّان
دع الـتكاسل فـي الخيرات تطلبُهـا ... فـليس يـسعد بـالخيرات كـسلان
لا ظـلّ للمرء يعرى من نهى وتـقى ... وإن أظـلـتـهُ أوراقٌ وأفـنـان
والـناس أعـوانُ مـن والتهُ دولتـه ... وهـم عـليه إذا عـادته أعـوان
(سحبانُ) من غير مال باقلُ حصـر ... و(بـاقلٌ) فـي ثَـراءِ المال سـحبان
لا تـودِع الـسر وشّـاء بـه مـذلاً ... فـما رعـى غنمـاً في الدّو سرحـان
لا تـستشير غـير نـدبٍ حـازم ... يقظ قـد اسـتوى فـيه إسرار وإعـلان
فـلـلتدابير فـرسان إذا ركـضوا ... فـيها أبـرُّوا كـما للحرب فرسـان

ولـلأمــور مـواقــيتٌ مُـقــدرةٌ وكــل أمــر لــه حـدٌ ومــيزان
فـلا تـكن عـجلاً في الأمـر تطلبـه فـليس يُـحمد قـبل النضـج بحـران
كـفى من العيش ما قد سدّ من عـوز فـفـيه لـلــحُر قــنيان وغــنيان
وذو الـقناعةِ راض مـن مــعيشته وصاحبُ الحرص أن أثـرى فغضـبان
حسب الـفتى عـقله خلاً يُعـاشره إذا تـحــاماه إخــوان وخُــلاّن
إذا نَـبــا بـكــريمٍ مــوطنٌ فــله وراءه فـي بـسيط الأرض أوطـان
يـا ظــالماً فــرحاً بــالعزّ سـاعده أن كـنت فـي سنةٍ فالدهر يقظان
يــا أيــها الــعالم المـرضيّ سـيرته أبـشرْ فـأنت بـغير الــماء ريّـان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجـج فـأنت مـا بـينها لا شــكّ ظمـآن
لا تـحسبن ســروراً دائــماً أبــداً مـن سـرّه زمــنٌ سـاءته أزمـان
وكـلّ كــسر فــإن الــدين يجـبره ومـا لـكسر قـناةِ الـدين جـبران

ومن جماليات التركيب في الشعر العربي لطرفة بن العبد:

هو عمرو بن العبد. و"طرفة" لقب غلب عليه. ولد في البحرين سنة ٥٤٣ م، وقتل في عهد عمرو بن هند، ملك الحيرة سنة ٥٦٩ م. فيكون قد عاش ستة وعشرين عاما فقط، ولهذا عرف باسم "الغلام القتيل".

وينتمي طرفة لأسرة عرفت بكثرة شعرائها من جهة الأب والأم. وكان في صباه عاكفا على حياة اللهو، يعاقر الخمر وينفق ماله عليها. ولكن مكانه في قومه جعله جريئا على الهجاء. وقد مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموه.

ولما اشتدّت عليه وطأة التمرد عاد إلى قبيلته وراح يرعى إبل أخيه "معبد" إلا أنها سرقت منه. ولما قصد مالكاً ابن عمه نهره. فعاد مجدداً إلى الإغارة والغزو.

ومن روائع شعره قوله:

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وإن ناصحٌ منك يوما دنا فلا تنأ عنه ولا تقصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص من حقه فإن القطيعة في نقصه
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحصه
ونص الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصه

ومن جماليات التركيب في الشعر قصيدة أبي العتاهية:

اسم الشاعر: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان

العنزي ولاءً، كنيته أبو اسحاق، لقبه أبو العتاهية، وقيل في سبب تلقيبه بأبي العتاهية أن الخليفة العباسي المهدي قال له يوماً: أنت إنسان متحذلق مُعتَّه .

و أبو العتاهية له ديوان شعر مطبوع، و قد قام الشيخ عبد الرحمن الحميّن - حفظه الله تعالى - بتسجيل قصائد الزهد والحكمة لأبي العتاهية في أشرطة مسجلة تُباع في التسجيلات الإسلامية وهي جميلة جداً، لما فيها من الحكم والتزهيد بالدنيا الفانية.

قال أبو العتاهية:

لا يأمنُ الدّهرَ إلاّ الخائنُ البَطِرُ ... مَنْ ليسَ يعقلُ ما يأتي وما يذرُ

لا يجهلُ الرّشدَ مَنْ خافَ الإلهَ ومَنْ ... أمسى وهمّتُهُ في دينِهِ الفِكَرُ

فيما مضى فِكرَةٌ فيها لصاحبِها ... أن كان ذا بصطترٍ في الرأيِ معتبَرُ

أينَ القرونُ وأينَ المُبتَنونَ لنا ... هَذي المدائنَ فيها الماءُ والشجرُ

و أينَ كسرى أنوشروان مالَ بهِ ... صرْفُ الزّمانِ وأفنى مُلكَهُ الغِيَرُ

بلْ أينَ أهلُ التُقى بعدَ النبيّ ومَنْ ... جاءتْ بفضلِهِمُ الآياتُ والسُّوَرُ

أُعدُدْ أبا بكرٍ الصِدِّيقَ أَوّلَهُمْ ... ونادِ مِنْ بعدِهِ في الفضلِ يا عُمَرُ

وعُدَّ مِنْ بعدِ عُثمانٍ أبا حَسنٍ ... فإنَّ فضلَهُما يُرْوى ويُدَّكَرُ

لَـمْ يبـقَ أهـلُ التُـقى فيهـا لـبرِّهِمُ ... ولا الجبـابرةُ الأمـلاكُ مـا عَمـروا
فاعملْ لنفسِكَ واحـذرْ أن تورِّطَهـا ... في هُـوَّةٍ مـا لهـا وِرْدٌ ولا صَـدَرُ
مـا يحـذرُ اللهَ إلا الرّاشـدونَ وقـدْ ... يُنجي الرَّشـيدَ مِـنَ المَحْـذورةِ الحـذرُ
والصَّـبرُ يُعقِـبُ رضـواناً ومغفِـرةً ... مع النّجاحِ وخَيْرُ الصُّحبَةِ الصُّبُرُ
النّـاسُ في هـذه الدنيـا على سَـفَرٍ ... وعن قريبٍ بهم مـا ينقضـي السّـفَرُ
فمـنهمُ قـانِعٌ راضٍ بعيشـتِهِ ... ومـنهُمُ مـوسِرٌ والقلـبُ مُفتَقِـرُ
ما يُشبِعُ النَّفْسَ أن لمْ تُمْـسِ قانِعَـةً ... شيءٌ ولو كَـثُرَتْ في مُلكِهـا البِـدَرُ
والنَّفْـسُ تَشـبَعُ أحيانـاً فيُرجِعُهـا ... نحوَ المجاعَةِ حُبُّ العـيْشِ والبَطَـرُ
و المَـرْءُ مـا عاشَ في الدنيـا لهُ أثَـرٌ ... فمـا يمـوتُ وفي الدنيـا لهُ أثَـرُ

ومن جماليات التركيب في الشعر العربي قصيدة المتنبي الذي يقول فيها:

فُـؤادٌ مـا تُسَـلّيهِ المُـدامُ ... وعُمْـرٌ مثـلُ مـا تَهَـبُ اللِّئـامُ
ودَهْـرٌ ناسُـهُ نـاسٌ صِـغارٌ ... وإنْ كانـتْ لهـمْ جُثَـثٌ ضِـخامُ
ومـا أنـا مِـنْهُمُ بـالعَيشِ فـيهم ... ولكـنْ مَعـدِنُ الذّهَـبِ الـرَّغامُ
أرانِـبُ غَـيرَ أنّهُـمُ مُلُـوكٌ ... مُفَتَّحَـةٌ عُيُـونُهُمُ نِيَـامُ

بأجْسامٍ يَحَرّ القَتْلُ فيها ... وما أقْرانُها إلاّ الطّعامُ
وخَيْلٍ ما يَخِرّ لها طَعِينٌ ... كأنّ قَنَا فَوارِسِها ثُمَامُ
خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي ... وإنْ كَثُرَ التّجَمّلُ والكَلامُ
ولو حِيزَ الحِفاظُ بغَيرِ عَقْلٍ ... تَجَنّبَ عُنقَ صَيقَلِهِ الحُسامُ
وشِبْهُ الشيءِ مُنجَذِبٌ إلَيْهِ ... وأشْبَهُنَا بدُنْيانا الطَّغامُ
ولَوْ لم يَعْلُ إلاّ ذو مَحَلٍّ ... تَعالى الجَيْشُ وانحَطّ القَتَامُ
ولَوْ لم يَرْعَ إلاّ مُسْتَحِقٌّ ... لرُتْبَتِهِ أسامَهُمُ المُسَامُ
ومَنْ خَبِرَ الغَواني فالغَواني ... ضِياءٌ في بَواطِنِهِ ظَلامُ
إذا كانَ الشّبابُ السُّكرَ والشّيْـ ... ـبُ هَمّاً فالحَياةُ هيَ الحِمامُ
وما كُلٌّ بمَعذورٍ بِبُخْلٍ ... ولا كُلٌّ على بُخْلٍ يُلامُ
ولم أرَ مِثْلَ جيراني ومِثْلي ... لمِثْلي عِندَ مِثْلِهِمُ مُقامُ
بأرْضٍ ما اشْتَهَيْتَ رأيتَ فيها ... فلَيسَ يَفُوتُها إلاّ الكِرامُ
فهَلاّ كانَ نَقْصُ الأهْلِ فيها ... وكانَ لأهْلِها مِنها التّمامُ
بها الجَبَلانِ مِنْ صَخْرٍ وفَخْرٍ ... أنَافَا ذا المُغيثُ وذا اللُّكامُ
ولَيْسَتْ مِنْ مَواطِنِهِ ولكِنْ ... يَمُرّ بها كَما مَرّ الغَمامُ

سَــقَى الله ابــنَ مُنْجِيــةٍ سَــقَاني ... بــــدَرٍّ مـــا لراضِـــعِهِ فِطـــامُ
ومَــنْ إحْــدى فَوائِــدِهِ العَطَايــا ... ومَــن إحــدى عَطايــاهُ الذّمــامُ
وقــد خَــفيَ الزّمــانُ بــهِ عَلَينَــا ... كسِــلْكِ الدُّرّ يُخْفيــهِ النّظــامُ
تَــلَذّ لهُ المُــروءَةُ وهيَ تُــؤذي ... ومَــنْ يَعشَــقْ يَــلَذّ لهُ الغَــرامُ
تَعَلّقهــا هَــوَى قَيــسٍ للَــيْلى ... وواصَــلَها فَلَــيسَ بــهِ سَــقَامُ
يَــروعُ رَكانَــةً ويَــذوبُ ظَرْفــاً ... فَمــا يُــدرَى أشَــيْخٌ أم غُــلامُ
وتَمْلِكُــهُ المَســائِلُ في نَــداهُ ... وأمّــا في الجِــدالِ فــلا يُــرامُ
وقَــبضُ نَــوالِهِ شَرَفٌ وعِــزٌّ ... وقــبضُ نَــوالِ بعــضِ القــومِ ذامُ
أقامــتْ في الرّقــابِ لَهُ أيَــادٍ ... هيَ الأطــواقُ والنّــاسُ الحَمــامُ
إذا عُــدّ الكِــرامُ فتِلْــكَ عِجْــلٌ ... كمَــا الأنْــواءُ حــينَ تُعَــدّ عامُ
تَــقي جَبَهــاتُهُمْ مــا في ذَرَاهُــمْ ... إذا بشِــفارِها حَــمِيَ اللِّطــامُ
ولــو يَمّمْــتَهُمْ في الحَشْــرِ تجــدو ... لأعطَــوْكَ الذي صَــلّوا وصــامُوا
فــإنْ حَلُمُــوا فــإنّ الخَيــلَ فــيهِمْ ... خِفــافٌ والرّمــاحَ بهــا عُــرامُ
وعِنــدَهُمُ الجِفــانُ مُكَلَّــلاتٌ ... وشَزْرُ الطّعْــنِ والضّــرْبُ التُّــؤامُ
نُصــرّعُهُمْ بأعْيُنِنــا حَيَــاءً ... وتَنْبُــو عَــن وُجــوهِهِمُ السّــهامُ

قَبيـــلٌ يَحْمِلُـــونَ مـــنَ المَعـــالي كمـــا حَمَلَـــتْ مـــن الجســـدالعِظامُ
قَبيـــلٌ أنـــتَ أنـــتَ وأنـــتَ مـــنهُمْ وجَـــدُّكَ بِشـــرٌ المَلِـــكُ الهُمَـــامُ
لِمَـــنْ مـــالٌ تُمَزّقُـــهُ العَطَايـــا ويُشـــرَكُ في رَغائِبِـــهِ الأنـــامُ
ولا نَـــدْعُوكَ صـــاحبَهُ فـــترْضَى لأن بصُـــحبَةٍ يَجِـــبُ الذّمَـــامُ
تُحايـــدُهُ كأنّـــكَ ســـامِرِيٌّ تُصـــافِحُهُ يَـــدٌ فيهـــا جُـــذامُ
إذا مـــا العـــالِمُونَ عَـــرَوْكَ قـــالُوا أفِـــدْنا أيّهـــا الحِـــبْرُ الإمـــامُ
إذا مـــا المُعْلِمُـــونَ رأوْكَ قـــالوا بهَـــذا يُعْلَـــمُ الجـــيشُ اللُّهـــامُ
لقـد حَسُـنتْ بـكَ الأوقـاتُ حـتى كأنّـــكَ في فَـــمِ الـــزّمَنِ ابتِســـامُ
وأُعطيـــتَ الذي لـــم يُعْـــطَ خَلْـــقٌ عَلَيـــكَ صَـــلاةُ رَبّـــكَ والســـلامُ

ومن قصائده أيضا:

صَـــحِبَ النّـــاسُ قَبلَنَـــا ذا الزّمَانَـــا وَعَنَـــاهُمْ مِـــن شـــأنِهِ مَـــا عَنَانَـــا
وَتَوَلّـــوْا بِغُصّـــةٍ كُلّهُـــمْ مِنْـــ ـــهُ وَإنْ سَرّ بَعْضَـــهُمْ أحْيَانَـــا
رُبّمَـــا تُحسِـــنُ الصّـــنيعَ لَيَالِيـــ ـــهِ وَلَكِـــنْ تُكَـــدّرُ الإحْسَـــانَا
كُلّمَـــا أنْبَـــتَ الزّمَـــانُ قَنَـــاةً رَكّـــبَ المَـــرْءُ في القَنَـــاةِ سِـــنَانَا
وَمُـــرَادُ النّفُـــوسِ أصْـــغَرُ مِـــن أن تَتَعَـــادَى فيـــهِ وَأنْ تَتَفَـــانَى

غَـيرَ أن الفَـتى يُـلاقي المَنَايَـا كالحِـاتٍ وَلا يُـلاقي الهَوَانَـا
وَلَـوَ أن الحَيَـاةَ تَـبْقَى لِـحَيٍّ لَعَـدَدْنَا أضَـلّنَا الشّـجْعَانَا
وَإذا لـم يَكُـنْ مِـنَ المَـوْتِ بُـدٌّ فَمِـنَ العَجْـزِ أن تكُـونَ جَبَانَـا
كلّ ما لم يكُنْ من الصّعبِ في أنـ ـفُسِ سَـهْلٌ فيهـا إذا هـوَ كانَـا

ومن جماليات التركيب في الشعر العربي قصيدة البوصيري:

أمِـنْ تـذَكُّرِ جـيرانٍ بـذي سـلمِ مزجتَ دمعاً جرى من مقلةً بـدمِ
أمْ هبَّتِ الـريحُ مـن تلقـاءِ كاظمـة وأوْمَضَ البَرْقُ في الظلْماءِ مِـنْ إضَـمِ
فمـا لعينيـكَ أن قلـتَ اكففـا هَمَتا ومَا لِقَلْبِك أن قُلْـتَ اسْـتَفِقْ
أيَحْسَبُ الصَّـبُّ أن الحُـبَّ مُنْكـتِمٌ ما بَـيْنَ مُنْسَـجِم منـهُ ومضـطَرِمِ
لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعـاًعَلَى طَلَـلٍ ولا أرقـتَ لذكـرِ البـانِ والعَلَـمِ
فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ مـا شَـهِدَتْ بهِ عليكَ عـدولُ الدَّمْـعِ والسَّـقَم
وَأثْبَتَ الوجْدُ خَطَّـيْ عَـبْرَةً وضَـنًى مِثْـلَ البَهـارِ عَلَى خَـدَّيْكَ والعَـنَمِ
نعمْ سرى طيفُ من أهوى فـأرقني والحُـبُّ يَعْـتَرِضُ الـلَّذاتِ بـالأَلَمِ
يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْـذِرَة منِّي إليـكَ ولـو أنصـفتَ لـم تلُـمِ

عَـدَتْكَ حـالِيَ لا سِرِّي بمُسْـتَتِرٍ عـن الوُشـاةِ ولادائي بمنحسـمِ
مَحَّضَـتْنِي النُّصْـحَ لكِـنْ لَسْـتُ إن المُحِبَّ عَن العُـذَّالِ في صَـمَمِ
إني اتهمتُ نصيحَ الشيبِ في عـذلٍ والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عَـنِ التُّهَـمِ
فـإنَّ أمَّـارَتي بالسـوءِ مـا اتعظـتْ من جهلها بنـذيرِ الشـيبِ والهـرمِ
ولا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِـرَى ضـيفٍ ألـمَّ بـرأسي غـير محتشـمِ
لـو كنـتُ أَعْلَـمُ أنِّي مـا أوَقِّـرُهُ كتمـتُ سِراً بـدا لي منـهُ بـالكتمِ
مـن لي بِـرَدِّ جمـاح مـن غوايتهـا كمـا يُـرَدُّ جمـاحُ الخيـلِ بـاللجمِ
فلا تَرُمْ بالمعـاصِي كَسْـرَ شَـهْوَتِها أن الطعـامَ يُقَـوِّي شـهوة النهـمِ
والنفسُ كالطفـلِ أن تهملـهُ شَـبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِم
فـاصرفْ هواهـا وحـاذرْ أن تُوَلِّيَـهُ أن الهوى ما تـولَّى يُصـمِ أو يَصـمِ
وَراعِهـا وهيَ في الأعمـالِ سـائِمة وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَـرْعَى فـلا تُسِـم
كَـمْ حَسَّـنَتْ لَذَّةً لِلْمَـرءِ قاتِلَـة من حيثُ لم يدرِ أن السُّـمَّ في الدَّسَـمِ
وَاخْشَ الدَّسائِسَ مِن جُوعٍ وَمِـنْ شِـبَعٍ فَـرُبَّ مَخْمَصَـةً شَرٌّ مِـنَ التُّخَـمِ
واسْتَفْرِغ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قـد امْـتَلأتْ مِنَ المَحـارِمِ وَالْـزَمْ حِمْيَـة النَّـدَمِ
وخالفِ النفسَّ والشيطانَ واعصـهما وإنْ هُمـا مَحَّضـاكَ النُّصـحَ فـاتهم

وَلا تُطِعْ منهما خَصْماً وَلا حَكَماً فأنْتَ تَعْرِفُ كيْدَ الخَصْمِ والحَكمِ
أسْتَغْفِرُ الله مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لقد نسبتُ به نسلاً لذي عقمِ
أمرتكَ الخيرَ لكنْ ما ائتمرتُ بهِ وما استقمتُ فما قولي لك استقمِ
ولا تَزَوَّدْتُ قبلَ المَوْتِ نافِلة ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ

قصيدة الشاعر محمد التهامي "إلى ولدي":

أنا قادم لك يا بني، وحق طهرك لا تنم
لا تحرمنَّ أباك من فمك الشهي إذا ابتسم
حلواك تلك أضمها في لهفة بيديّ ضم
أسعى إليك، وكل خافقةٍ بجنبي تضطرم
فلعلني ألقى صياحك يملأ الدنيا نغم
فأطير من فرحي وأنسى الهمَّ.. أنسى كلَّ هم
ولكم تعبتُ.. وكم شقيتُ، وكم شبعت من الألم
وعلى نداك الحلو ترتاح الجراح وتلتئم
ثم استمعت إليك تدعوني وتلثغ في الكلم
فسمعت أقدر ناثر وسمعت أبلغ من نظم

جاوزت ما نطق اللسان وفقت ما كتب القلم

وسكت عن عي، ولكن كل ما تعني فهم

ألقاك بين يدي أشرب من لماك وألتهم

وأطيل ضمك، لست أشبع منك من شفتيك لثم

وتروح تحكي لي حكايات النهار المنصرم

وتعثر الكلمات في فمك الشهي المبتسم

نغم على سمعي، أتدري يا حياتي ما النغم

شيء تدور له الرؤوس وتستريح وتنسجم

وتهم لا تقوى خطاك على المسير المنتظم

وتروح تعثر بالأثاث وتحيد عنه وتصطدم

وفرشت قلبي كي تسير تدوس فيه بالقدم

أقسمت أنك لو فعلت لما وجدت له ألم

جماليات اللغة في الشعر العربي أبو صخر الهذلي:

أما وَالَّذِي أبكى وأضحك وَالَّذِي ... أمات وَأَحْيَا وَالَّذِي أمره الْأَمر

لقد كنت آتيها وَفِي النَّفس هجرها ... بتاتاً لأخرى الدَّهْر مَا طلع الْفجْر

فَمَا هُوَ إِلَّا أَن أَرَاهَا فجاءة ... فأبهت لَا عرف لديّ وَلَا نكر

وأنسى الَّذِي قد كنت فِيهِ هجرتهَا ... كَمَا قد تنسّي لبّ شاربها الْخمر

وَمَا تركت لي من شذىً أهتدي بِهِ ... وَلَا ضلع إِلَّا وَفِي عظمها كسر

وَقد تَرَكتنِي أغبط الْوَحْش أَن أرى ... أليفين مِنْهَا لم يفزّعهما نفر

مَخَافَة أَنِّي قد علمت لَئِن بدا ... لي الهجر مِنْهَا مَا على هجرها صَبر

وَأَنِّي لَا أَدْرِي إِذا النَّفس أشرفت ... على هجرها مَا يبلغن بِي الهجر

أَبى الْقلب إِلَّا حبها عامريةً ... لَهَا كنية عمر وَلَيْسَ لَهَا عَمْرو

تكَاد يَدي تندى إِذا مَا لمستها ... وينبت فِي أطرافها الْوَرق الْخضر

وَإِنِّي لتعروني لذكراك نفضة ... كَمَا انتفض العصفور بلله الْقطر

تمنيت من حبي علية أننا ... على رمث فِي الْبَحْر لَيْسَ لنا وفر

على دَائِم لَا يعبر الْفلك موجه ... وَمن دُوننَا الْأَعْدَاء واللجج الْخضر

فنقضي هموم النَّفس فِي غير رَقَبَة ... ويغرق من نخشى نميمته الْبَحْر

عجبت لسعي الدَّهْر بيني وَبَينهَا فَلَمَّا انْقَضى مَا بَيْننَا سكن الدَّهْر
فيا حب ليلى قد بلغت بِي المدى وزدت على مَا لَيْسَ يبلغهُ الهجر
وَيَا حبها زِدْنِي جوىً كل لَيْلَة وَيَا سلوة الْأَيَّام موعدك النَّضر
هجرتك حَتَّى قيل: مَا يعرف الْهوى وزرتك حتي قيل: لَيْسَ لَهُ صَبر
صدقت أَنا الصب الْمُصَاب الَّذِي بِهِ تباريح حب خامر الْقلب أَو سحر
فيا حبذا الْأَحْيَاء مَا دمت حَيَّة وَيَا حبذا الْأَمْوَات مَا ضمك الْقَبْر
وإنّي لتعروني لذكراك روعةٌ كما انتفض العصفور بلَّله القطر

ومن جمال اللغة العربية في شعر أبي نواس:

وذات خد مورد فتاته المتجرد تأمل العين منها محاسنا ليس
فالحسن في كل جزء منها معاد فبعضه في انتهاء وبعضه يتجدد

و قوله:

نَضَت عَنها القَميصَ لِصَبِّ ماءِ فَوَرَّدَ وَجهَها فُرطُ الحَياءِ
وَمَدَّت راحَةً كَالماءِ مِنها إِلى ماءٍ مُعَدٍّ في إِناءِ
رَأَت شَخصَ الرَقيبِ عَلى التَداني فَأَسبَلَتِ الظَلامَ عَلى الضِياءِ
فَغابَ الصُبحُ مِنها تَحتَ لَيلٍ وَظَلَّ الماءُ يَقطِرُ فَوقَ ماءِ

وقول أبي ذؤيب يرثي أبناءه الخمسة:

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُريهِمُ أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ

إلى آخر القصيدة ....

وهناك قصائد كثيرة في الرثاء بها من جماليات التركيب وعبقريته ما لا يحتاج إلى دليل.

ومن عيون قصائد الرثاء أيضا قصيدة (ابن الرومي) في رثاء ابنه محمد، في قوله:

محمد ما شيء توهم سلوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد

أرى أخويْكَ الباقيين كليهما يكونانِ للأحزانِ أورَى من الزنْدِ

إذا لَعِبا في ملعبٍ لكَ لذَّعا فؤادِي بمثلِ النارِ من غيرِ ما

ومن الشعر الحديث قصائد لا تحصي عددا ولا تقل في كثرتها أو جمالها من الشعر العربي القديم في كل الموضوعات والمجالات، كما في

أشعار أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، إبراهيم ناجي، صلاح عبد الصبور، نزار قباني، مانع سعيد العتيبة، وغيرهم في جميع البلدان العربية ممن لا يتسع البحث لاستقصاء أسمائهم أو أشعارهم، خذ على سبيل المثال: أحمد شوقي وهو يقول:

سَلو قَلبي غَداةَ سَلا وَثابا ... لَعَلَّ عَلى الجَمالِ لَهُ عِتابا

وَيُسأَلُ في الحَوادِثِ ذو صَوابٍ ... فَهَل تَرَكَ الجَمالُ لَهُ صَوابا

وَكُنتُ إِذا سَأَلتُ القَلبَ يَومًا ... تَوَلّى الدَمعُ عَن قَلبي الجَوابا

وَلي بَينَ الضُلوعِ دَمٌ وَلَحمٌ ... هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَبابا

تَسَرَّبَ في الدُموعِ فَقُلتُ: وَلّى ... وَصَفَّقَ في الضُلوعِ فَقُلتُ: ثابا

وَلَو خُلِقَتْ قُلوبٌ مِن حَديدٍ ... لَما حَمَلَتْ كَما حَمَلَ العَذابا

وَأَحبابٍ سُقيتُ بِهِمْ سُلافًا ... وَكانَ الوَصلُ مِن قِصَرٍ حَبابا

وَنادَمنا الشَبابَ عَلى بِساطٍ ... مِنَ اللَذاتِ مُختَلِفٍ شَرابا

وَكُلُّ بِساطِ عَيشٍ سَوفَ يُطوى ... وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ وَطابا

كَأَنَّ القَلبَ بَعدَهُمُ غَريبٌ ... إِذا عادَتهُ ذِكرى الأَهلِ ذابا

وَلا يُنبيكَ عَن خُلُقِ اللَيالي ... كَمَن فَقَدَ الأَحِبَّةَ وَالصَحابا

أَخا الدُنيا أَرى دُنياكَ أَفعى ... تُبَدِّلُ كُلَّ آوِنَةٍ إِهابا

وَأَنَّ الــرُقطَ أَيقَــظُ هاجِعــاتٍ ... وَأَتــرَعُ في ظِــلالِ السِــلمِ نابــا

وَمِــن عَجَــبٍ تُشَــيِّبُ عاشِــقيها ... وَتُفنــيهِمْ وَمــا بَرِحَــتْ كَعابــا

فَمَــن يَغــتَرُّ بِالدُنيــا فَــإِنّي ... لَبِســتُ بِهــا فَأَبلَيــتُ الثِيابــا

لَهــا ضَــحِكُ القِيــانِ إِلى غَــبِيٍّ ... وَلي ضَــحِكُ اللَبيــبِ إِذا تَغــابى

جَنَيــتُ بِرَوضِــها وَردًا وَشَــوكًا ... وَذُقتُ بِكَأسِــها شَــهدًا وَصــابا

فَلَم أَرَ غَــيرَ حُكــمِ اللهِ حُكمًــا ... وَلَــم أَرَ دونَ بــابِ اللهِ بابــا

وَلا عَظَّمــتُ في الأَشــياءِ إِلا ... صَــحيحَ العِلــمِ وَالأَدَبَ اللُبابــا

وَلا كَرَّمــتُ إِلا وَجــهَ حُــرٍّ ... يُقَــلِّدُ قَومَــهُ المِــنَنَ الرَغابــا

وَلَــم أَرَ مِثــلَ جَمــعِ المــالِ داءً ... وَلا مِثــلَ البَخيــلِ بِــهِ مُصــابا

فَــلا تَقتُلــكَ شَــهوَتُهُ وَزِنهــا ... كَمــا تَــزِنُ الطَعــامَ أو الشــَرابا

وَخُــذ لِبَنيــكَ وَالأَيّــامِ ذُخــرًا ... وَأَعــطِ اللهَ حِصَّــتَهُ احتِســابا

فَلَــو طالَعــتَ أَحــداثَ اللَيــالي ... وَجَــدتَ الفَقــرَ أَقرَبَهــا انتِيابــا

وَأَنَّ الــبِرَّ خَــيرٌ في حَيــاةٍ ... وَأَبــقى بَعــدَ صــاحِبِهِ ثَوابــا

وَأَنَّ الشَــرَّ يَصــدَعُ فاعِليــهِ ... وَلَــم أَرَ خَــيِّرًا بِالشَــرِّ آبــا

فَرِفقًــا بِــالبَنينَ إِذا اللَيــالي ... عَلى الأَعقــابِ أَوقَعَــتِ العِقابــا

وَلَـم يَـتَقَلَّدوا شُـكرَ اليَتـامى ... وَلا ادَّرَعـوا الدُعاءَ المُستَجابا

عَجِبتُ لِمَعشَـرٍ صَلّوا وَصاموا ... عَـواهِرَ خِشـيَةً وَتُـقى كِـذابا

وَتُلفـيهُمْ حِيـالَ المـالِ صُـمًّا ... إِذا داعي الـزَكاةِ بِهِـمْ أَهابـا

لَقَـد كَتَمـوا نَصـيبَ اللهِ مِنـهُ ... كَـأَنَّ اللهَ لَـم يُحـصِ النِصـابا

وَمَـن يَعـدِل بِحُـبِّ اللهِ شَـيئًا ... كَحُبِّ المالِ ضَلَّ هَـوًى وَخابا

أَرادَ اللهُ بِـالفُقَراءِ بِـرًّا ... وَبِالأَيتـامِ حُبًّـا وَارتِبابـا

فَـرُبَّ صَـغيرِ قَـومٍ عَلَّمـوهُ ... سَـما وَحَـمى المُسَـوَّمَةَ العِرابـا

وَكانَ لِقَومِـهِ نَفعًـا وَفَخـرًا ... وَلَـو تَرَكـوهُ كانَ أَذًى وَعابـا

فَعَلِّمْ مـا استَطَعتَ لَعَـلَّ جيلاً ... سَيَأتي يُحـدِثُ العَجَـبَ العُجابـا

وَلا تُرهِـقْ شَـبابَ الـحَيِّ يَأسًـا ... فَـإِنَّ اليَـأسَ يَخـتَرِمُ الشَـبابا

يُريـدُ الخـالِقُ الـرِزقَ اشـتِراكًا ... وَإِن يَـكُ خَـصَّ أَقوامًـا وَحـابى

فَمـا حَـرَمَ المُجِـدَّ جَـنى يَدَيـهِ ... وَلا نَسِيَـ الشَـقِيَّ وَلا المُصـابا

وَلَـولا البُخـلُ لَـم يَهلِـكْ فَريـقٌ ... عَلى الأَقـدارِ تَلقـاهُمْ غِضـابا

تَعِبـتُ بِأَهلِـهِ لَومًـا وَقَـبلي ... دُعاةُ الـبِرِّ قَـد سَـئِموا الخِطابـا

وَلَـو أَنّي خَطَبـتُ عَلى جَمـادٍ ... فَجَـرْتُ بِـهِ اليَنـابيعَ العِـذابا

أَلَـم تَـرَ لِلهَـواءِ جَـرى فَأَفضـى ... إلى الأَكـواخِ وَاخـتَرَقَ القِبابـا
وَأَنَّ الشَـمسَ في الآفـاقِ تَغشـى ... حِمى كِسرى كَما تَغشى اليَبابـا
وَأَنَّ المـاءَ تُـروى الأُسـدُ مِنـهُ ... وَيَشـفي مِـن تَلَعلُعِهـا الكِلابـا
وَسَـوّى اللهُ بَيـنَكُمُ المَنايـا ... وَوَسَّـدَكُمْ مَـعَ الرُسـلِ التُرابـا
وَأَرسَـلَ عائِـلاً مِـنكُمْ يَتيمًـا ... دَنا مِن ذي الجَـلالِ فَـكانَ قابـا
نَـبِيُّ الـبِرِّ بَيَّنَـهُ سَـبيلاً ... وَسَـنَّ خِـلالَهُ وَهَـدى الشِـعابا
تَفَرَّقَ بَعدَ عيسـى النـاسُ فيـهِ ... فَلَمّـا جـاءَ كانَ لَهُـمْ مَتابـا
وَشـافي النَفـسِ مِـن نَـزَعاتِ شَرٍّ ... كَشـافٍ مِـن طَبائِعِهـا الذِئابـا
وَكانَ بَيانُـهُ لِلهَـدي سُـبلاً ... وَكانَـت خَيلُـهُ لِلحَـقِّ غابـا
وَعَلَّمَنـا بِنـاءَ المَجـدِ حَـتّى ... أَخَـذنا إِمـرَةَ الأَرضِ اغتِصـابا
وَمـا نَيـلُ المَطالِـبِ بِـالتَمَنّي ... وَلَكِـن تُؤخَـذُ الدُنيـا غِلابـا
وَمـا استَعصـى عَلى قَـومٍ مَنـالٌ ... إِذا الإِقـدامُ كانَ لَهُـمْ رِكابـا
تَجَـلّى مَـولِدُ الهـادي وَعَمَّـتْ ... بَشـائِرُهُ البَـوادي وَالقِصـابا
وَأَسـدَتْ لِلبَرِيَّـةِ بِنـتُ وَهـبٍ ... يَـدًا بَيضـاءَ طَوَّقَـتِ الرِقابـا
لَقَـد وَضَـعَتهُ وَهّاجًـا مُنـيرًا ... كَمـا تَـلِدُ السَـماواتُ الشِـهابا

فَقــامَ عَلى سَــماءِ البَيــتِ نــورًا يُضــيءُ جِبـالَ مَكَّـةَ وَالنِقابـا
وَضاعَت يَـثرِبُ الفَيحـاءُ مِسـكًا وَفــاحَ القــاعُ أَرجــاءً وَطابــا
أَبا الزَهـراءِ قَـد جـاوَزتُ قَـدري بِمَــدحِكَ بَيــدَ أن لِيَ انتِســابا
فَمــا عَــرَفَ البَلاغَــةَ ذو بَيــانٍ إِذا لَــم يَتَّخِــذكَ لَهُ كِتابــا
مَـدَحتُ المـالِكينَ فَـزِدتُ قَـدرًا فَحينَ مَدَحتُكَ اقتَدتُ السَـحابا
سَــأَلتُ اللهَ في أَبنــاءِ ديــني فَـإِن تَكُـنِ الوَسـيلَةَ لي إِجابـا
وَمـا لِلمُسـلِمينَ سِـواكَ حِصـنٌ إِذا مــا الضَــرُّ مَسَّــهُمُ وَنابــا
كَأَنَّ النَحسَ حينَ جَرى عَلَـيهِمْ أَطــارَ بِكُــلِّ مَملَكَــةٍ غُرابــا
وَلَـو حَفَظـوا سَـبيلَكَ كان نـورًا وَكانَ مِنَ النُحوسِ لَهُـمْ حِجابـا
بَنَيـتَ لَهُـمْ مِـنَ الأَخـلاقِ رُكنًـا فَخــانوا الــرُكنَ فَانهَــدَمَ
وَكانَ جَنــابُهُمْ فيهــا مَهيبًــا وَلَلأَخــلاقِ أَجــدَرُ أن تُهابــا
فَلَولاهــا لَســاوى اللَيــثُ ذِئبًــا وَســاوى الصــارِمُ المـاضي قِرابـا
فَـإِن قُرِنَـت مَكارِمُهـا بِعِلـمٍ تَــذَلَّلَتِ العُــلا بِهِمــا صِــعابا
وَفي هَـذا الزَمـانِ مَسـيحُ عِلـمٍ يَــرُدُّ عَلى بَــني الأُمَــمِ الشَــبابا

إبراهيم ناجي:

يـا فُـؤَادِي لا تسـلْ أيـنَ الهَـوَى كَانَ صَرْحـاً مِـنْ خَيَـالٍ فَهَـوَى
اِسْـــقِني واشْرَبْ عَلَى أَطْـــلاَلِهِ وارْوِ عَـنِّي طَالَمَـا الدَّمْـعُ رَوَى
كَيْفَ ذَاكَ الحُبُّ أَمْسَـى خَـبَراً وَحَـدِيْثاً مِـنْ أَحَادِيْـثِ الجَـوَى
وَبِسَـــاطاً مِـنْ نَـدَامَى حُلُـمٍ هـم تَـوَارَوا أَبَـداً وَهُـوَ انْطَـوَى

❁❁❁

يَـا رِيَاحـاً لَـيْسَ يَهْـدا عَصْـفُهَا نَضَبَ الزَّيْتُ وَمِصْـبَاحِي انْطَفَـا
وَأَنَـا أَفْتَـاتُ مِـنْ وَهْـمٍ عَفَـا وَأَفِي العُمْـرَ لِنَـاسٍ مَـا وَفَى
كَـمْ تَقَلَّبْـتُ عَلَى خَنْجَـرِهِ لاَ الهَوَى مَـالَ وَلاَ الجَفْـنُ غَفَـا
وَإذا القَلْـــبُ عَلَى غُفْرانِـــهِ كُلَّمَـا غَارَ بَـهِ النَّصْـلُ عَفَـا

❁❁❁

يَـا غَرَامـاً كَانَ مِـنِّي في دّمي قَـدَراً كَالمَـوْتِ أَوْفَى طَعْمُـهُ
مَـا قَضَـيْنَا سَـاعَةً في عُرْسِـهِ وقَضَـيْنَا العُمْـرَ في مَأْتَمِـهِ
مَـا انْـتِزَاعي دَمْعَـةً مِـنْ عَيْنَيْـهِ وَاغْتِصَـابي بَسْـمَةً مِـنْ فَمِـهِ
لَيْـتَ شِـعْري أَيْـنَ مِنْـهُ مَهْـرَبِي أَيْـنَ يَمْضي هَـارِبٌ مِـنْ دَمِـهِ

❁❁❁

لَسْـتُ أَنْسَـاكِ وَقَـدْ اَغْـرَيْتِنِي بِفَـمٍ عَـذْبِ المُنَـادَاةِ رَقِيْـقْ
وَيَـدٍ تَمْتَـدُّ نَحْـوِي كَيَـدٍ مِنْ خِلاَلِ المَوْجِ مُـدَّتْ لِغَرِيْـق
آهِ يَـا قِيْلَـةَ أَقْـدَامِي إِذَا شَكَتِ الأَقْدَامُ أَشْـوَاكَ الطَّرِيْـقْ
يَظْمَـأُ السَّـارِي لَهُ أَيْـنَ فِي عَيْنَيْـكِ ذَيَّـاكَ البَرِيْـقْ

❁❁❁

لَسْـتُ أَنْسَـاكِ وَقَـدْ أَغْـرَيْتِنِي بِالذُّرَى الشُّمِّ فَأَدْمَنْـتُ الطُّمُـوحْ
أَنْـتِ رُوحٌ فِي سَـمَائِي وَأَنَا لَكِ أَعْلُو فَكَأَنِّي مَحْـضُ رُوحْ
يَـا لَهَـا مِـنْ قِمَـمٍ كُنَّـا بِهَـا نَـتَلاَقَى وَبِسِرِّيْنَا نَبُـوحْ
نَسْتَشِـفُّ الغَيْـبَ مِـنْ أَبْرَاجِهَـا وَنَرَى النَّاسَ ظِلاَلاً فِي السُـفُوحْ

❁❁❁

أَنْـتِ حُسْـنٌ فِي ضُـحَاهُ لَـمْ يَـزَلْ وَأَنَـا عِنْـدِيَ أَحْـزَانُ الطَّفَـلْ
وَبَقَايَـا الظِّـلِّ مِـنْ رَكْـبٍ رَحَـلْ وَخُيُـوطُ النُّـورِ مِـنْ نَجْـمٍ أَفَـلْ
أَلْمَـحُ الدُّنْيَـا بِعَيْـنَيْ سَـئِمٍ وَأَرَى حَـوْلِيَ أَشْـبَاحَ المَلَـلْ
رَاقِصَـاتٍ فَـوْقَ أَشْـلاَءِ الهَـوَى مُعْولاَتٍ فَـوْقَ أَجْـدَاثِ الأَمَـلْ

❁❁❁

ذَهَــبَ العُمْــرُ هَبَــاءً فَــاذْهَبي لَــمْ يَكُــنْ وَعْــدُكِ إلاَ شَــبَحَا
صَــفْحَةً قَــدْ ذَهَــبَ الدَّهْــرُ بِهَــا أَثْبَــتَ الحُــبَّ عَلَيْهَــا وَمَحَــا
أُنْظُــري ضِــحْكِي وَرَقْصي فَرِحــاً وَأَنَــا أَحْمِــلُ قَلْبــاً ذُبِحَــا
وَيَــرَاني النَّــاسُ رُوحَــاً طَــائِراً وَالجَوَى يَطْحَنُنِي طَحْــنَ الــرَّحَى

❁❁❁

كُنْــتِ تِمْثَــالَ خَيَــالي فَهَــوَى المَقَــادِيْرُ أَرَادَتْ لاَ يَــدِي
وَيْحَهَــا لَــمْ تَــدْرِ مَــاذا حَطَّمَــتْ حَطَّمَتْ تَــاجي وَهَــدَّتْ مَعْبَــدِي
يَــا حَيَــاةَ اليَــائِسِ المُنْفَــرِدِ يَــا يَبَابــاً مَــا بِــهِ مِــنْ أَحَــدِ
يَــا قَفَــاراً لافِحَــاتٍ مَــا بِهَــا مِــنْ نَــجِيٍّ .. يَــا سُــكُونَ الأَبَــدِ
أَيْــنَ مِــنْ عَيْــني حَبِيــبٌ سَــاحِرٌ فِيْــهِ نُبْــلٌ وَجَــلاَلٌ وَحَيَــاءْ
وَاثِــقُ الخُطْــوَةِ يَمْشــي مَلِــكاً ظَــالِمُ الحُسْــنِ شَــهِيُّ الكِبْرِيَــاءْ
عَبِــقُ السِّــحْرِ كَأَنْفَــاسِ الــرُّبَى سَاهِمُ الطَّرْفِ كَــأَحْلاَمِ المَسَــاءْ
مُشْرِــقُ الطَّلْعَــةِ فِي مَنْطِقِــهِ لُغَــةُ النُّــورِ وَتَعْبِــيْرُ السَّــمَاءْ

وفي الختام يجدر ذكر الأمور الآتية:

١- أن تعلم العربية الفصحى لا يكون بتعلم قواعدها فقط، وإنما يكون بنطق ألفاظها والاستماع إلى من ينطقها ومحاكاته، وأول شيء يساعدنا في المحاكاة هو الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، ومحاكاة جمله وتراكيبه من إذاعة القرآن الكريم أو من أي وسيلة أخرى متاحة. وهذا سر من أسرار عبقرية اللغة العربية وجمالها.

٢- ومن أجل نجاح تحقيق الهدف السابق يجب خلق مجتمعات لغوية قليلة أو كثيرة تتحدث الفصحى وتتعامل بالفصحى فيما بينها، في البيت والمدرسة والمسجد والشارع والعمل، وعند ذلك سنحقق هدفنا وننشر لغتنا، ونضمن لمستواها الفصيح البقاء والخلود، وعند ذلك أيضا نشعر بعبقرية اللغة العربية ونعيش مع متعة وجمال التحدث بها.

٣- يجب على وسائل الإعلام أن تنهض بدورها في نشر اللغة الفصيحة وجذب الناس إليها، ويمكنها أن يكون لها دور كبير في خلق هذه المجتمعات.

٤- كما للأسرة دور كبير أيضا في خلق هذه المجتمعات، من خلال ترغيب أبنائها وجميع أفرادها في تكلم الفصحى.

٥- المدرسة والجامعة لهما دور كبير في تحقيق ذلك.

٦- دور العبادة لها دور كبير في ذلك.

٧- المؤسسات الحكومية لها دور آخر في ذلك، ومن أمثلة ذلك: "مشروع تطوير اللغة العربية" في أبو ظبي ٢٠٠٩، أطلقه ولي العهد في دولة الإمارات في عدة محاور هي:

١- الحفاظ على اللغة العربية

٢- ضمان تنمية اللغة وحيويتها واستجابتها لمتطلبات العصر

٣- تحديث علاقة اللغة بالتقنيات الجديدة وتوظيفها

٤- متابعة استيعاب اللغة للحصاد العلمي

٥- توسيع قواعد البيانات العربية لتأسيس شبكة عربية عالمية

٦- رفع مستوى جودة التقنيات الحاسوبية بالعربية على المستوى الدولي

٧- تنسيق الجهود بين المؤسسات العربية في ضوء استراتيجية شاملة

٨- ضرورة التوقف عن بث برامج إذاعية أو إعلامية عن: قل ولا تقل، واستبدالها ببرامج أخرى تجيز طرائق من النطق يختار المتكلمون منها ما يشاءون.

٩- اللغة العربية مستويات، وهذا سر بقائها وخلودها بإذن الله، وينبغي علينا أن نؤمن أن اللغة العربية متطورة، وعلينا أن نبحث عن الوسائل التي تجعلنا نصنع تقاربا بين اللغة الفصحى وكل مستوياتها واللهجات العربية وما نتج عنها من عاميات في الوطن العربي.

١٠- ينبغي علينا الإقلال من استخدام اللغات الأجنبية في حياتنا اليومية وفي لافتات المحلات التجارية، وعلينا التواصل بالخط العربي في وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها .

هناك لغات كثيرة صعبة في قواعدها كالألمانية مثلا، وهناك لغات كالفرنسية مثلا تقترض من غيرها كما قال بعض العلماء:

The Story of Language p.151

يقول: تم فحص معجم فرنسي اشتمل على ٤٦٣٥ كلمة فوجد فيها ٢٠٢٨ كلمة فقط ينتمي إلى الأصل اللاتيني الذي يعد المصدر الأصيل للغة الفرنسية، ووجد ٩٢٥ من اللغة اليونانية، و٦٠٤ من الألمانية، و٦٦ من الكلتية، و١٥٤ من الإنجليزية، و٢٨٥ من الإيطالية، و١١٩ من الإسبانية، و١٠ من البرتغالية و١٤٦ من العربية، و٣٦ من العبرية، و٤ من الهنغارية، و٢٥ من السلافية، و٣٤ من التركية، و٩٩ من اللغات الأسيوية، و٦٢ من اللغات الأمريكية الهندية، ولا توجد لغة خالية من

العنصر الأجنبي، وكل يوم تستقبل اللغة العربية قرابة مئتي لفظة غير عربية، واللغة العربية تم الاقتراض منها إلى لغات كثيرة، كما قال دكتور آل تونجي في بحثه عن الألفاظ المهاجرة حيث وجد أن في كثير من لغات العالم ألفاظا عربية فصيحة بنفس معناها وبنفس أصوتها مكتوبة بخط هذه اللغات، وقد بالغ بعض الباحثين في بحثه في مؤتمر اللغة العربية بدار العلوم جامعة الفيوم عام ٢٠٠٨م حيث رأى أن جميع ألفاظ اللغات الأخرى أصلها عربي، أي أنها ترجع إلى ألفاظ عربية، وهذا فيه مبالغة، وإن كان لا يخلو بعضه من الصحة لوجود ألفاظ عربية في اللغات الأخرى، ووجود ألفاظ غير عربية الأصول في اللغة العربية من مثل كلمة إبريق، بستان، ازميل، طور، سندس، سيناء ... وغيرها مما ورد في القرآن بعضه وورد في الشعر بعضه الآخر، أما في عصرنا الحاضر فقد امتلأت لغتنا بالألفاظ الغير عربية، وهذا برغم خطره على اللغة العربية إلا أنه مع الأيام يحدث له تعريب وتتطويع وتنجح اللغة العربية بعبقريتها في إخضاعه لأنظمتها وأصواتها وأوزانها وصيغها، فيصبح عربي أو كالعربي، ويكتب بالحروف العربية، وهذا أمر يحدث في كل اللغات، ولا يجعلنا نحكم بأن لغتنا العربية قد ماتت أو أنها ستموت ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ على وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

الأستاذ الدكتور/ خليل عبدالعال خليل زايد
أستاذ النحو والصرف بكلية دار العلوم جامعة الفيوم
وعميد كلية دار العلوم جامعة الفيوم السابق وأستاذ اللغة العربية
وعميد البحث العلمي بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	٧
المبحث الأول: الدلالات اللغوية لألفاظ العنوان: عبقرية اللغة العربية وجمالياتها (عبقر، لغة، عربي، جمال) في معاجم اللغة العربية.	٢٥
المبحث الثاني: آراء سلف هذه الأمة وأدبائها في اللغة العربية وقيمتها	٣٧
المبحث الثالث: عبقرية مفردات اللغة العربية وتعدد نطق أصواتها وتنوعها	٥٤
المبحث الرابع: عبقرية التركيب في اللغة العربية	٧٨
الخاتمة	١٣٢
الفهرس	١٣٧